



جامعة الملك فيصل

تاريخ الفكر الاجتماعي

د / أحمد الجمعان

المحاضرة التمهيديّة محتوى المقرر

- ❖ التفكير الاجتماعي في مصر
- ❖ التفكير الاجتماعي في الهند – (قانون مانو) – (البوذية)
- ❖ التفكير الاجتماعي في الصين- كونفوشيوس - منسيوس
- ❖ التفكير الاجتماعي في اليونان
- ❖ أفلاطون
- ❖ المدينة الفاضلة
- ❖ التنشئة الاجتماعية
- ❖ أرسطو
- ❖ نظرية أرسطو في نشأة المجتمع والرق والمدينة الفاضلة
- ❖ التفكير الاجتماعي للفلاسفة المسيحيين
- ❖ كليمان الإسكندري
- ❖ القديس أوغسطين
- ❖ القديس توماس الاكويني (سان توماس)
- ❖ ابن خلدون وعلم العمران
- ❖ تصنيف البحوث قبل ابن خلدون
- ❖ خطوات ابن خلدون لإنشاء علم الاجتماع
- ❖ موضوع العلم وظواهره وأهدافه
- ❖ ضرورات نشأة المجتمع
- ❖ الظواهر التي تحيط بالإنسان
- ❖ منهج البحث في علم العمران
- ❖ أوجيست كونت
- ❖ قواعد فهم الظواهر الاجتماعية
- ❖ شعبتا علم الإجماع
- ❖ موضوع علم الإجماع

المحاضرة الأولى

البدايات الأولى للتفكير الاجتماعي

يرجع كثير من المفكرين البدايات الأولى للتفكير الاجتماعي إلى فلاسفة اليونان الذين كانت فلسفتهم تعبر عن الصور المنظمة للتفكير الإنساني غير أن التربة الخصبة لتلك البدايات كانت في بلاد الشرق القديم مثل الهند والصين ولدى المصريين

التفكير الاجتماعي في مصر

تعتبر مصر من أقدم مواطن الحضارة في العالم كما تميز تاريخها بالاستمرار والاطراد فهو أطول التواريخ المعروفة وأكثرها اطراداً بل هو قصة متصلة الحوادث إلا في فترة قصيرة محدودة

المصريون ونظام الحكم :

نزحت إلى مصر منذ أقدم العصور قبائل وجماعات عاشت على الصيد والزراعة لاسيما مع وجود مصدر الحياة بعد الله هو النيل وما يجلبه من رزق وخير ، وقد لزم الأمر توثيق التعاون بينها بل استلزم قيام حكومة متحدة تسيطر على البلاد من أدناها إلى أقصاها ، وبالفعل قامت أول حكومة اتحادية شملت مصر كلها حوالي سنة ٤٢٤٢ ق . م وكانت عاصمة الدولة هليوبوليس مكان عين شمس الحالية غير أن هذا الاتحاد لم يدم طويلاً حيث انقسم إلى مملكتين : الوجه القبلي والوجه البحري ، وبدأت منذ ذلك التاريخ أصول الحضارة المصرية حيث يقسم تاريخ مصر إلى : الدولة القديمة ، والوسطى ، والحديثة

الحكومة المركزية :

غير إن فكرة الحكومة المركزية التي كانت مطلوبة لضمان استمرار وحدة البلاد تحولت على التدرج إلى ظاهرة شديدة التعقيد حيث انه في ظل تلك الوحدة مع سوء المواصلات بدأت البيروقراطية تدق أعمدها في أعماق الأرض المصرية ، بل وفي العقلية المصرية ولذلك فإن هناك من يرجع تاريخ البيروقراطية إلى الحكومات المصرية المتتالية كجهاز لم يتطور في أدائه لوظيفته ، وإنما أضفت عليه العهود الطويلة المتتالية صفاتاً سيئة ، من أظهرها المركزية ولقد كانت المركزية مطلباً طبيعياً ، كما يرى ماكس فيبر في تلك الأزمان الغابرة لضمان وحدة دولة كانت منقسمة على نفسها ، حتى أن هذا النموذج الذي صنعه البيروقراطية المصرية أصبح مثلاً يحتذى في التنظيمات الإدارية الأخرى ، وهكذا نرى أن الحكومة ونظام الحكم والإدارة كظواهر اجتماعية تنظيمية نشأت لأول مره في مصر مما يدل على النضج المبكر للفكر الاجتماعي لدى أجدادنا الأوائل

٢- المصريون والأسرة :

كانت الأسرة كنظام اجتماعي من أهم الأنظمة الاجتماعية التي حرص المصريون على الاهتمام بها وتدعيمها وكانوا قد اعتادوا على منذ أزمنة طويلة على التكبير بالزواج ، لأنه يعتبر من أهم الدعائم التي يقوم عليها المجتمع بالإضافة إلى اهتمامهم بالتربية كظاهرة اجتماعية .

٣- المصريون والمرأة :

على الرغم من وضع الأب على رأس الأسرة المصرية القديمة ، فقد رفع المجتمع المصري القديم من شأن المرأة ، باعتبار الأم وفضلها في التربية وواجب طاعتها واحترامها وتقديرها وفضلها في الحمل والولادة ثم بعد ذلك أنشأتك تنشئة صالحة ، وعدم تفضيل الزوجة عليها .

ماذا نلاحظ في التشريعات المصرية وحين نتحدث أيضاً عن التشريعات الهندية والصينية ؟ سنجد أموراً منها ما سنتحدث عنه مستقبلاً في ابن خلدون وهو أن : هذه التشريعات تشريعات اجتماعية أو وصايا دون الوصول إلى فكرة القوانين .

٤- المصريون والتشريعات الاجتماعية :

هناك بعض الصور التي توضح تماسك العلاقات الأسرية الاجتماعية عند المصري منها طقوس مراسم الزواج وقد وجد أقدم عقد زواج مصري بالمتحف المصري ويعود على القرن الرابع قبل الميلاد أبرم بين أمحوتب و تاحاتر ، ونصه يقول : (أمحوتب) لـ (تاحاتر) لقد اتخذت زوجة ، ولللأطفال الذين تلدينهم لي كل ما أملك وما سأحصل عليه ، والأطفال الذين تلدينهم لي يكونون أطفالاً ، ولن يكون في مقدوري أن أسلب منهم أي شيء مطلقاً لأعطيته إلى آخرين من أبنائي ، أو إلى أي شخص في الدنيا ، سأعطيك من النبيذ والفضة والزيت ما يكفي لطعامك وشرابك كل عام . ستضمنين طعامك وشرابك الذي سأجريه عليك شهرياً وسنوياً وسأعطيته لك أينما أردت، وإذا طردتك أعطيك خمسين قطعة من الفضة ، وإذا اتخذت لك ضرة ، أعطيتك مائة قطعة من الفضة . وقد شهد على هذا العقد ستة عشر شخصاً ، ويدل ذلك على أنهم قد عرفوا التشريعات الاجتماعية مثل الزواج وتشريعاته المتمثلة في وجود مقدم صداق ومؤخر صداق ونفقة من الزوج على زوجته بالإضافة إلى الصور التعويضية المادية في حالة طردها أو الزواج عليها بأخرى وتنظيم المواريث وهذه إشارة إلى ما كانوا عليه من تقدم .

المصريون والأخلاق وآداب السلوك :

كانت الأسرة المصرية محل تقديس من الجميع ، وكانت المرأة التي ترتكب جريمة الخيانة الزوجية تحرق ، وكان شريكها يلقي به في النهر للتماسيح أو ليموت غرقاً ، ومن ثم كانت قواعد الأخلاق وآداب السلوك التي تواضع عليها الناس في مصر القديمة ، كانت تقضي بالابتعاد عن الإثم والفجور ، وإنزال العقاب الشديد على كل من ينحرف عن هذه القواعد .

آداب السلوك ذكرها الدكتور بشكل سريع وهي:

- ❖ احترام العلم والعلماء والمفكرين .
- ❖ مقاومة الفساد
- ❖ أن الإنسان إذا كان لديه خير يبذل منه للآخرين
- ❖ احترام الرجل لبيوت الآخرين فلا يدخل بيت أحدهم في غير وجوده وحتى وفي وجود صاحب البيت لا يدخل حتى يؤذن له والابتعاد عن أماكن وجود النساء لأنها تجلب الفتنة والفساد
- ❖ علاقة الرجل بزوجه وأسرته

المصريون والتنشئة الاجتماعية :

من أهم الأقوال التي تؤكد مدى إيمان المصريين بالتنشئة الاجتماعية السليمة قول "بتاح حوتب" الذي ينتشبه مع أقوال الحكماء في مختلف عصور مصر القديمة ، ويزيد عليها ترتيباً لمسؤوليات الآباء وواجبات الأبناء - فقرة ٣٨ من حكمته السالفة الذكر - حيث يقول: إذا كنت رجلاً عاقلاً فليكون لك ولد تقوم على تربيته، فذلك شيء يسر له الرب فإذا اقتدى بك ونسج على منوالك وإذا هو نظم من شئونك ورعاها ،فاعمل له كل ما هو طيب ،لأنه ولدك وقطعه من نفسك وروحك ولا تجعل قلبك يجافيه ، فإذا ركب رأسه ولم يأبه لقواعد السلوك فطغى وبغى وتكلم بالإفك والبهتان فقومه بالضرب حتى يعتدل شأنه ويستقيم قوله ، وباعد بينه وبين رفقاء السوء حتى لا يفسد فإن من يسير على دليل لا يضل . ومن هذا نرى إن تلك الوصية تعتبر أصدق تعبير عن الوظيفة الأساسية لعملية التنشئة الاجتماعية السليمة ، التي تتفق مع أحدث النظريات العلمية الحديثة في علم الاجتماع وفي علم النفس التربوي ، وبالتالي تؤكد أسبقية المصريين القدماء في الفكر الاجتماعي .

☒ ملاحظة :

النصوص التي ذكرها الدكتور ليست للحفظ إنما للفهم والإدراك لأن من الممكن أن يأتي على هذا الأجزاء سؤال في الاختبار وأهم النقاط التي تحدث عنها الدكتور : الطلاق والنفقة ، ضرب الأبناء ، رفقاء السوء وهي ليست نصوصاً للحفظ لكن نفهم هذه الوصايا والنصائح كما أن هذه الوصايا والنصائح ليست من اليوتوبيا ، أي الفكر الخيالي المثالي وليست من البحوث أو النصوص التاريخية إنما هي تشريعات ونصائح فقط .

التفكير الاجتماعي بالهند :

تتميز الهند بأدائها القديمة وتراثها الفلسفي وتشريعاتها المعروفة باسم قوانين مانو ، التي تعتبر من أقدم التشريعات الهندية التي وضعتها البراهما بقصد إطلاع الأجيال التالية على أوضاع الحياة الاجتماعية والأعراف والتقاليد ، وقد جاءت مرآة صادقة تعكس أوضاع المجتمع الهندي القديم ، وصورت المانوية هذا النظام على أنه وحي من الإله براهما نفسه فلا بد إن ينصاع له المجتمع ولا يرى عنه بديلاً .

هذا النظام يحتوي على فكرتين أساسيتين :

أولاً : جمود الوضع الاجتماعي فلا يتغير الوضع الطبقي مطلقاً من الأصول إلى الفروع
ثانياً : الخضوع لما يفرضه الدين على أفكار كل طبقة من التزامات ووظائف اجتماعية

قسم مانو المجتمع الهندي إلى أربع طبقات :

الطبقة	ممثلها	وظيفتهم
البراهما	رجال الدين والحكام	أكثر أفراد المجتمع امتيازاً ، وهم وحدهم الذين يعلمون الناس أسفار الفيدا (الأسفار المقدسة للبراهمانيين) ويستأثرون بالسلطة والنفوذ والجاه
الكشاترين	المحاربين أو الجنود	اعتماد طبقة البراهما عليهم في المدافعة عنهم والمحافظة على هيبتهم الاجتماعية ، مهمة المحافظة على النظام داخلياً ومحاربة الأعداء خارجياً
الفيصائيين	التجار والصناع	مزاولة الزراعة وصيد الحيوان ودجنه والقيام بالتجارة والصناعة
السودريين	العبيد والأرقاء	ليس لهم وظيفة اجتماعية إلا خدمة الطبقات السابقة لاسيما الطبقة الأولى

وقد حرمت الطبقة الثالثة والرابعة الفيصائيين والسودريين من الوصول إلى كرسي الحكم فضلاً عن مزاولة أي حق سياسي أو مدني فلا يحق لهم مطلقاً الاشتراك في أنظمة الحكم والسياسة والدفاع ووضع التشريعات فهم معزولون عن الحياة السياسية ولو حاولوا الوصول لطبقة البراهما أو الكشاترية فإنهم يجازون بأنواع العذاب الغليظ كصب الحديد في آذانهم وقطع ألسنتهم وتقطيع أجزاء من أجسادهم ، أهم ما يميز البناء الطبقي الهندي هو ارتكازه على النظام الطائفي المغلق .

ماذا نفهم من هذه الطبقية ؟

هذه الطبقة مغلقة فمن المستحيل أن يكون الفيصائي كشاتري أو الكشاتري براهمي ، والكل يبقى على طبقته فلا مجال للتطور ، عندما نتحدث عن الطبقات نقصد بها العرق وليس باعتبار اللون أسود أو أبيض

تقسيم الطبقات على الجسم الإنساني :

ويقوم هذا التفاضل في الكتب المقدسة للبراهمانيين الهنود على أساس عناصرهم ونشأتهم الأولى ، فتذكر أن براهما قد خلق البراهمانيين من فمه ، وخلق فصيلة الكشاتريين من ذراعه ، وخلق فصيلة الفيصائيين من فخذه ، وخلق فصيلة السودريين أو المنبوذين من قدمه . ولما كانت أشرف الأعضاء وأطهرها - من وجهة نظرهم - هي ما علا السرة وأحطها هو ما كان أسفل السرة ، وأحطها جميعاً هو القدم . فإنهم يرون أن أشرفها جميعاً بحسب العنصر والنشأة الأولى هم اللذين انحدروا من فم براهما وهم البراهمانيون يليهم في الفضل الذين انحدروا من ذراعه وهم الكشاتريون ، وكانت الرذائل الإنسانية التي انحدرت من فخذه وقدمه وهم الفيصائيون وأكثرهم رجساً ونجساً ، هم المنبوذون الذين انحدروا من قدم براهما وهم السودريين وهؤلاء لا يصح لمسهم ولا مؤاكلتهم ولا مصاهرتهم ولا الارتباط بهم بأية علاقة غير علاقة السيد بالمسود، ومن ثم فإن النظام الطبقي في الهند، كان أداة تعوق التطور الاجتماعي ووسيلة جمود في المجال الحضاري .

المحاضرة الثانية تابع التفكير الاجتماعي في الهند

الديانة البوذية : ولد إلى حد ما ردة فعل تجاه هذا المجتمع وهذا التقسيم الطبقي الغير عادل وبالتالي تفرعت من ذلك الديانة البوذية أو الفلسفة و الآراء البوذية فكانت تحاول أن تدعو إلى الحرية والإخاء والمساواة وتعتقد أن الصفة القدسية التي تحدثت عنها مانو ليست صفة وراثية يتوارثها شخص عن آخر وحاولت التخفيف من حده الفروق الطبقيّة، على الرغم من ذلك لم تنجح في تقرير حقوق وواجبات المواطنين بصفة حاسمة ، ولم تترك أثراً عملياً في المجتمع الهندي القديم ، حيث اشتركت مع البراهما في صيغ كل الأفكار بالنزعات الصوفية ونظرتنا إلى الحياة باعتبارها شراً لا مناص من البحث عن التخلص منه **ومعنى ذلك أن البوذية لها طابع أخلاقي سلوكي .**

الخلاصة/ أن الديانات والفلسفات الهندية القديمة بما فيها البوذية لم يكن هدفها تكوين المواطن الصالح ، بل كان الهدف الأساسي الحصول على زهاد ورهبان وتنشئة أجيال من المتعبدين والنسك

التفكير الاجتماعي في الصين ومصدر التشريع لديهم :

من أهم ملامح الفلسفة الصينية الحديثة أنها لم تقم على أساس ديني كما هو في مصر والهند وإنما على أسس عملية إنسانية تخاطب أفراد المجتمع وترمي إلى خلق أجيال من المواطنين الأحرار ، ثم زادت عنايتها بكل ما هو متصل بنواحي الحياة الاجتماعية ، ويعتبر التفكير الإنساني أو عقل الإنسان هو مصدر التشريع لديهم ، كما أنها لم تكن قدسية، بمعنى أي أنها لم تكن تعاليم سماوية وصلت إليهم عن طريق الوحي ، بل كانت نتاج عقول أشخاص معروفين منتقلة من جيل إلى جيل

وأهم شخصيتين في الفلسفة الصينية هما منسيوس وكونفوشيوس زعيم فلاسفة الصين القدامى وهو يعتبر معلم الجنس البشري لدى الصينيين وهم يعتبرونه أفضل من أنجبته البشرية وهذا لا يستقيم مع ديننا بل كانت وجهة نظرهم ، فأفضل البشر على الإطلاق نبينا محمد صلى الله عليه وسلم .

الفلسفة الكونفوشيوسية / وتسمى دراسات كونفوشيوس وقد سادت فلسفته كل أرجاء الصين واستمرت من القرن السادس قبل الميلاد حتى أوائل القرن العشرين هذه الفلسفة تستمد مادتها من الأخلاق، **وهدفها الأساسي** هو إصلاح الأخلاق الاجتماعية عن طريق الارتقاء بالأسرة عندما تسود الألفة والمودة بين الزوجين ويكون هناك محبة وود بين الأبناء تتكون هناك الأخلاق الحسنة التي من خلالها تنعكس على المجتمع وكان ينادي بتقويم الأفراد لعقولهم ولنفسهم مع التزود بالمعارف الإنسانية، وكان يسعى إلى وصول المجتمع الصيني على نظام اجتماعي سليم يكون أساساً لنظام سياسي يكفل الحرية والمساواة ويحقق العدالة ، ولا يأتي ذلك إلا بتنظيم شئون الأسرة عن طريق التطهير والإخلاص والتضامن وطاعة الأبناء لأبائهم والزوجات للأزواج لأن الأسرة اللبنة الأساسية لبناء المجتمع فصلاحتها ينعكس على المجتمع والعكس صحيح .

التنشئة الاجتماعية عند الصينيين :

وقد أولى الصينيون التنشئة الاجتماعية الخلقية لأفراد الأسرة كانت من أهم مميزات التفكير الاجتماعي الصيني في كل العصور القديمة بل إن دستور (جو) وهو من أقدم الآثار القانونية والتشريعية الصينية أشار إلى تخصص وزير مسئول لشئون الأسرة ، كما يختص هذا الوزير برفاهية أفراد الشعب وإسعادهم .

القواعد الأخلاقية عند كونفوشيوس :

على إن القواعد الأخلاقية عند كونفوشيوس وسط بين الإفراط والتفريط ، على اعتبار إن الطبيعة الإنسانية تقوم على عنصرين : الذات الإنسانية الحقّة أو الذات المركزية أو الموجود الأخلاقي ، ثم الانفعالات التي تستيقظ في النفس الإنسانية ، ولعل هذا القول يتشابه مع قول أرسطو عن الفضيلة بأنها وسط بين رذيلتين .
مؤلفاته : كتاب الاغاني ، كتاب الربيع والخريف ، كتاب التاريخ ، كتاب الطقوس والتقاليد ،

وكتاب المتغيرات : وهو يتحدث عن التنبؤات التي بما تكون عليه المستقبل من خلال السلوك أو الأسرة بما تكون عليه هذه الدولة أو المجتمع أو الفرد .

منسيوس : وهو من تلاميذ كونفوشيوس ، الذي تتلمذ على يد تسييسز هو من أحفاد كونفوشيوس .

وله عدة مؤلفات منها : عملية الانتخابات وكان يطلق عليه أنجيل الكونفوشيوسيه ، وله بعض الآراء مثل : توجيهه أقسى عبارات اللوم على الحكام عند حدوث نوع من الظلم ، وكان يعتبر الأفراد بمثابة أفضل العناصر الاجتماعية وكان له دعوة أصبحت محل تقدير الشعب وهي ، لكي تيسر الحياة الاجتماعية للأفراد لابد من أمرين : ١- دستور تنظيم الملكية داخل المجتمع ٢- إصلاح قوانين الضرائب .

ومما يؤخذ على منسيوس أنه قام بتقسيم مجتمع الصين إلى طبقتين مع المساواة بينهما:

الطبقة الأولى : هي طبقة المثقفين والعلماء ، وهي التي من حقها أن تسود وتحكم .

الطبقة الثانية : هي طبقة الكادحين والعمال ، من زراع وتجار وصناع ومن واجبها أن تعمل وتنتج .

✓ مع ضرورة التضامن بين الطبقتين ..

✗ هنا نلاحظ أمر في التفكير الاجتماعي في مصر والهند والصين أن الجميع يسعى لتحقيق ما يسمى بالعدالة التي كانت مطلب الكثير من الفلاسفة وإن الدافع لها كان ما ينبغي أن يكون وليس البحث فيما هو قائم .

التفكير الاجتماعي في اليونان :

حينما نتحدث عن أفلاطون الذي عاش في الفترة ٢٤٧ - ٤٢٨ ق. م

كان لديه ثلاثة من أهم المؤلفات وهي الجمهورية ، السياسي ، القوانين .

وكان كتاب الجمهورية أكثر عمقاً وأغزر علماً وكان الهدف من تأليفه إنشاء مدينة فاضلة خالية من كل الموبقات التي كانت سائدة في ذلك الحين وهو يحتوي على أكثر الآراء والأفكار التي تحدث عنها وكتب لها عشرة فصول وحدد منها سبعة فصول من أجل العدالة لأنه كان يسعى إلى العدالة مثله مثل أرسطو لكن الأمر الذي يجب أن ندرك ابتداءً أن كل هذه الآراء لأفلاطون لم تكن قائمة في المجتمع وكانت ضمن ما يسمى باليوتوبيا الفكر الخيالي المثالي ، ونلاحظ أن أفلاطون نفسه عندما تحدث عن فلسفته في التنشئة الاجتماعية عدل عن بعض الآراء فيما بعد لأنها ضد الفطرة الإنسانية ونجد انه كان ضد ما كان قائم من ديمقراطية ومن تصويت داخل المجتمع اليوناني ولكنها تضل آراء ليس بالضرورة أن نتبعها ولكن نحن نشير إليها .

أسس المدينة الفاضلة وضرورات قيام الدولة :

١- وجود أرض للدولة لها حدود جغرافية شمالاً وجنوباً وشرقاً وغرباً

٢- يجب أن يكون هناك موارد مالية وليست بشرية فقط

٣- نظام سياسي واقتصادي واجتماعي وأخلاقي

٤- وجود سياسة موحده . ٥- هدف عام مشترك .

ما هو الهدف العام المشترك ؟

هي العدالة فالإنسان لا يستطيع أن يعيش لوحده في المجتمع ويعتمد دائماً على الآخرين والحاجة الإنسانية هي أساس تلك الوحدة الاجتماعية أو بالأحرى هي أساس ذلك النظام الاجتماعي الذي يتجسد في المجتمع .

وظائف الدولة عند أفلاطون :

وظيفة الدولة	ما يقابلها في النفس البشرية	مركزها	طبقتها	فضيلتها	معدنها
الإنتاج	القوة الشهوانية	البطن	العمال والطبقة الكادحة	التعفف والاعتدال	الحديد والمعادن الغير ثمينة
الدفاع	القوة النفسية	القلب	المحاربين ورجال الأمن	الشجاعة وتطبيق القوانين السياسية وتحقيق العدالة	الفضة
الإدارة	القوة الناطقة أو العاقلة	الرأس أو العقل	الحكام وأصحاب الرأي	عملية الحكم والحزم في اتخاذ القرارات وتنفيذها	الذهب

ويؤكد أفلاطون انه لا يوجد تداخل فيما بين هذه الوظائف ولا يأتي الظلم إلا عندما تعتدي أي طبقة على الأخرى وتحقيق العدالة عندما يؤدي كل فرد عمله الذي هيئه الله له وعندما تقوم كل طبقة بدورها المناط بها ولا تتعدى على عمل الطبقة الأخرى .

❖ يرى أفلاطون ان الإلهام هو الطريق الذي يوصل الفلاسفة الى.. (ادراك الحقائق العامة)
❖ يرى أفلاطون ان عالم المثل كانت تعيش فيه.. (النفوس قبل اتصالها بالابدان)

المثل العليا عند أفلاطون :

كان يعتقد أفلاطون ان النفس قبل أن تلتصق بالإنسان كان لديها الكثير من الأخلاقيات والمثل العليا ولكن بالتصاقها بالابدان نسيت هذه الأخلاقيات، أما لدى الفلاسفة لأنه يعتبرهم أفلاطون فئة خاصة تتمتع عن غيرها من الناس بحاسة إدراك الحقائق العامة والمقولات المحضة ، إلى حد ما فهي موجودة فعندما ينطق الفيلسوف أو الحاكم بهذه الآراء أو الأفكار فهي لا تأتيه من خلال الاستنباط أو المشورة والملاحظة ولكن يسترجعها لأنها ابتداء كانت لديه وهي تعتمد إلى حد بعيد على عملية الإلهام وتفيض عليه عفويا من غير جهد وعناء .

إذا المثل العليا لدى الفيلسوف هي عملية تذكر للمعارف التي مر بها في هذا العالم المادي ولا تحدث لديه هذه الإثارة والاستعادة عن طريقة الملاحظة والاستنباط وإنما تحدث عن طريقة الإلهام والإشراق .
ولا ريب أن أفلاطون بهذه النظرية قد أوضح اتجاهها مثاليا أكد انصرافه عن واقع مجتمعه الذي أعلن فيه مبادئ تقدمية في السياسة والحكم . فقد أخذت الديمقراطية في عصره بمبدأ اختيار الحكام والقضاة بالانتخاب وبالإقتراع إمعانا منها في المساواة بين جميع أفراد الشعب سواء أكانوا أغنياء أم فقراء وأخذت أيضا بمبدأ التصويت العام في الأمور العامة فاحترمت رأي الأغلبية العديدة في كل الأمور ومعنى ذلك إن أفلاطون كان موقفه عكس ذلك حيث اعتبر رأي الأكثرية وتدخلها في السياسة والحكم مصدرا من مصادر الفوضى ذلك أن العدالة عنده تقضى بأن يتخصص للحكم طبقة أرستقراطية لها بالطبيعة مواهب الحكمة والشجاعة التي لا تتوافر عند باقي أفراد طبقات الشعب وهي الصفوة من طبقة الحراس ، أما الديمقراطية (التي بلغت ذروتها في الانتخاب بالقرعة) على اعتبار أن جميع الناس متساوون فقد اعتبرها مرضاً أساسياً ، وأكد أن هذه الطبقات وان كانت من طبائع مختلفة ومعادن متباينة فأنها ليست منفصلة اجتماعياً ، ولكنها مرتبة ومتماسكة ومتكاملة اجتماعياً وهي في مجموعها تشكل وحده اجتماعية دعامتها الفرد ، الذي تفرض عليه الحياة الاجتماعية أن يقوم بالوظيفة التي يحددها جهاز الدولة .

✓ نستخلص من هذا إلى أن المدينة (الدولة) الفاضلة كما يراها أفلاطون تشكل وحدة اجتماعية عناصرها الأفراد الأحرار المتساوون ، ولكل منهم وظيفته الاجتماعية التي يمارسها طبقا للتشريعات العادلة التي تضعها طبقة الحكام فإن هؤلاء كما تربطهم أواصر الأخوة ، نجد أن وظائفهم تتكامل بحيث تنجز مهام وظائف الطبقات الاجتماعية الثلاث . يضاف إلى ذلك أن طبقة الحكام طبعت على حب العلم والفلسفة ومن ثم لا يصدر عنها إلا كل ما هو عادل وفاضل . وعلى أهل تلك المدينة الفاضلة أن يمارسوا حياتهم الاجتماعية في شكل أسرة واحدة دعامتها العدالة ورائدها تحقيق الرفاهية والتحلي بالصفات الفاضلة والبعد عن طلب الملاذ أو متع الحياة أو الإسراف في طلب المال ولا يتخذون من الحرب ذريعة لتحقيق أطماع غير مشروعة .
وكان أفلاطون بهذا التقسيم يسوق الناس إلى طبقية معينة ويعتقد أن الوصول إلى الإنتاج والإدارة والدفاع تأتي من خلال التنشئة الاجتماعية .

أسئلة ذكرها الدكتور للمراجعة

- ✗ بماذا تختص الطبقة ضمن المجتمع الهندي وهي طبقة البراهمة ؟ هم رجال الدين وبالتالي الحكم .
- ✗ ما هي أسفار الفيدا ؟ هي الكتب المقدسة عند الهنود والبراهمة .
- ✗ ما هي الأفكار الأساسية للديانة البراهمية ؟ ١- جمود الوضع الطبقي ٢- عدم تغير هذا الوضع الطبقي .
- ✗ هل كان هدف الديانة الهندية خلق المواطن الصالح ؟
- لا لم يكن هدفها خلق المواطن الصالح بل الحصول على الزهاد والرهبان والمتعبدین .
- ✗ ما هو دستور جو ؟ هو وضع وزير لتنظيم الأسرة في المجتمع الصيني .

المحاضرة الثالثة : تابع التفكير الاجتماعي في اليونان

التنشئة الاجتماعية عند أفلاطون :

يعتقد أفلاطون من خلال التنشئة الاجتماعية ومراحلها إننا نستطيع أن نوجد هذه الطبقات الثلاث: الإنتاج ، الدفاع ، الإدارة . حيث إن المجتمعات في عهده كانت مضطربة وبعيدة وغير متماسكة أو منظمة ويرجع ذلك إلى القصور في تكوين العناصر الضرورية لقيام الوحدة الاجتماعية وقد وجده في التربية الاجتماعية للصغار . ولهذا يرى ضرورة إشراف الدولة على شئون التربية لجميع المواطنين ، بمعنى أن تتسلم الدولة الأطفال من أمهاتهم عقب ولاداتهم ، وتعهد بهم إلى مربيات عموميات ، أي موظفات في الدولة للقيام بحضانة ورعاية هؤلاء الأطفال . ومن ثم ينشأ الأطفال في دور الحضانة العامة هذه ، لا يعرفون آبائهم ولا أمهاتهم . وعندما ينتهون في سن السابعة من الحضانة يفصل الأطفال الذين يدل اختبارهم على أنهم لا يصلحون لغير الأعمال الجسمية ، أي الأعمال التي تدخل في نطاق الصناعة والزراعة وما يتصل بهما . وهؤلاء يكتفي في تربية كل منهم بأن يؤخذ بشئون المهنة أو الحرفة التي سيزاولها في مستقبل حياته . هذا ومن أهداف التنشئة الاجتماعية لدى أفلاطون ضرورة التمييز بين الأحداث الذكور والإناث واختيار الذين يتميزون بالتكامل الجسماني والقوة البدنية والذين يتوافر لديهم الاستعداد للقتال وتزويدهم بالتربية البدنية والرياضية لزيادة قواهم الطبيعية والمحافظة عليها . يضاف إلى ذلك ضرورة تزويد هؤلاء بقدر من الآداب والفنون وغرس حب الفضائل وقواعد الدين التي تقوم على الإيمان بوجود الله والتسليم بعدالته عن طريق النصيح والإرشاد ، على اعتبار أن كل تربية لا تقوم على أساس ديني تربية ناقصة .

من يتميز من هؤلاء :

تستمر هذه التربية مع البنين والبنات إلى سن الثامنة عشر ثم يوجهون إلى مزاولة التدريب العسكري طول عامين كاملين ، من يتميز من هؤلاء يخضعون لدراسة لمدة عشر سنوات من سن عشرين إلى سن ثلاثين لدراسة أربع مواد هي : الحساب (الرياضيات) ، الهندسة ، الفلك ، الموسيقى . ومن يتميز من هؤلاء يدرس لمدة خمس سنوات من سن الثلاثين إلى سن الخمسة و الثلاثين ، الفلسفة والمنطق .

الفلسفة هنا تعني حب الحكمة والمنطق يعني ترتيب الأفكار . ونأتي بعد ذلك لما يسمى بالصفصفة وهي الجدل العقيم ، وعندئذ يتم اختيار أصحاب الاستعداد الفلسفي من الذكور والإناث ليعكفوا طوال خمس سنوات على دراسة الفلسفة والمنطق وإجادة البحث عن حقائق الأشياء وفي نهاية ذلك تكون أعمارهم قد وصلت إلى الخامسة والثلاثين . وتسند إلى الممتازين منهم الوظائف الحربية والإدارية إلى أن تصل أعمارهم إلى الخمسين وهنا يتم اختيار الممتازين منهم في الأعمال الإدارية والحربية لترقيتهم إلى مرتبة الحكام وإسناد الوظائف الرئيسية إليهم لوصولهم بمقاييد الحكم إلى مرتبة الفلسفة الخالصة على حين أن طبقة الجند تشكل ممن يتخلفون أثناء تلك المراحل التربوية .

والحكام في الدولة الأفلاطونية يقسمون إلى حكام بالمعنى الحقيقي وإلى مساعدين ، وهم الجنود يشغلون مركزاً جليلاً . ولا بد لهم من أجل القيام بوظائفهم على أكمل وجه من مزيج المزايا والصفات ، إذ من الضروري أن **يجمع الحاكم في نفسه الفلسفة والشجاعة والسرعة ، والقوة ، فيكون شجاعاً بالنسبة للأجانب ، ولطيفاً بالنسبة للرعية ، ويجب أن يتعلم ويتربى للوصول إلى هذه الأهداف على أسس المنهاج التربوي السالف الذكر .**

نستنتج مما سبق :

١ . إن طبقة الإنتاج بداية لا يخضعون لهذه المراحل ، لماذا ؟

لأنه حينما يولد هؤلاء الأشخاص ويكون لديه عاهات أساساً يوجه تلقائياً للإنتاج ولا يستطيع إطلاقاً تجاوز مرحلة ما بعد العشرين سنة وليس في هذا عدالة بعد ذلك يؤخذ من كانت أجسامهم قوية وبنيتهم سليمة إلى مرحلة ما بعد العشرين سنة وذكرنا أن هذه المراحل دون تقرييق بين ذكور وإناث .

٢ . إن من يتفوق يذهب إلى المرحلة الأخرى فمن يكون جسمه غير قادر على المواصلة يوجه للإنتاج ومن يستطيع أن يواصل يصل إلى مرحلة الإدارة ومن يتخلف يحول إلى مرحلة الدفاع أو الجند .

٣ . من خلال هذه التنشئة : نجد انه حطم الأسرة وأشاع الملكية دون أن يكون هناك ملكية فردية بمعنى ، إن الشخص تمر عليه مراحل حياته ليس لديه أسرة أو زوجة وأبناء والابن كذلك يكبر ليس لديه أسرة وليس لديه أب أو أم .

٤ . لماذا كل هذا الأمر ؟ من أجل إن نصل إلى العدالة التي تحدث عنها أفلاطون في كتبه الجمهورية والسياسة والقوانين .

الحل من وجهة نظر أفلاطون في عدم تسرب الفساد إلى الحكام الفلاسفة :

إن الحل لتلك المشكلة وجده أفلاطون في شيوع الملكية . ولكي يحول دون تسرب الفساد إلى الحكام . ولكي تتوافر لديهم أعظم الخصائص الحنان واللفظ نحو رفاقهم ونحو الذين يحكمونهم يجب أن يترفعوا عن زخارف الحياة فلا يكونوا كغيرهم من الناس ، يتعثرون في شئون الدنيا وشجونها ، ويعبر أفلاطون عن ذلك بقوله: والآن دعنا نبين طرق حياتهم وسكنهم إذا أريد أن يكونوا على ما ذكرت من الأوصاف : فيجب أن لا يمتلك أحدهم عقاراً خاصاً مادام ذلك في الإمكان وان لا يكون لأحدهم مخزن أو مسكن يحضر دخوله على الراغبين ويجب أن يكون طعامهم اقل مما يتطلبه الجنود الشجعان المدربون . الذين يتحلون بفضيلتي الشجاعة والعفاف ، ويجب أن يوافقوا على أن يتقاضوا من الرعية أجره سنوية معينة لقاء خدمتهم ، تكفيهم دون أن يفيض منها شي أو تقصر دون سد حاجاتهم . ويجب أن يعيشوا كالجنود في التكنات على الموائد المشتركة ويجب أن يعلنوا أن الآلهة اكتنزت في نفوسهم ذهباً وفضة سماويين ولذلك فلا حاجة فيهم إلى الركاك الترابي وعار عليهم أن يدنسوا بضاعة الآلهة الأبدية بالذهب الفاني . ذلك لان هذا المعدن الأرضي كان مصدراً لكثير من الشرور ، بينما الذهب السماوي ظل بعيداً عن الفساد . وهم وحدهم من بين كل رجال المدينة مستثنون من مس الذهب والفضة فلا يدخلونها تحت سقفهم ولا يحملونها ، ولا يشربون بكؤوس صنعت منهما ، وبذلك يصونون أنفسهم ودولتهم ، ولكنهم إذا امتلكوا أراضي وبيوتاً ومالاً ، ملكاً خاصاً صاروا مالكيين وزراعاً عوضاً كونهم حكاماً فيصيرون سادة مكروهين ، لا حلفاء محبوبين ، فيصبحون مبغضين ومبغضين ، يكاد لهم ويكيدون ، فيقضون الجانب الأكبر من حياتهم في هذا العراك وخوفهم العدو الداخلي أكثر جداً من خوفهم العدو الخارجي ، وفي حال كهذه يرمون بأنفسهم ويسيروا بالدولة الى بالدمار .

هل كانت هذه المدينة موجودة ؟

نستنتج انه يعتقد أن التربية والتعليم هي من الأسباب الرئيسية في إيجاد الحاكم الصالح وأن هذه المدينة الفاضلة كانت من وجهة نظر أفلاطون فقط وهي من اليوتوبيا أي الفكر الخيالي المثالي وتجد أنها أمور خارجة عن الطبيعية ، وهو في الحقيقة في نهاية المطاف عدل عن هذه الأفكار والآراء .

نظرية أرسطو :

أرسطو عاش من الفترة (٢٢٢ - ٣٨٤) قبل الميلاد وكان مثل أستاذه أفلاطون فيما يتعلق ببعض الأمور ولكنه كان أكثر عقلانية من أفلاطون ولهذا كانت أرائه إلى حد ما منسجمة مع الواقع وخاصة حينما يتحدث عن الأسرة وعن الرق داخل المجتمع على الرغم من وجود بعض الانحرافات فيها . ولديه ثلاث نظريات وهي نظرية نشأة المجتمع ، نظرية الرق ، نظرية قيام مجتمع فاضل .

وكما ذكرنا كان اقل اندفاعاً وتهوراً منه وكان أكثر تلمس للحياة الواقعية وهو فيما يتعلق بقيام الأسرة يعتبرها اللبنة الأولى في تكوين المجتمع ، أثرت هذه الآراء في كثير من الاسكندر المقدوني ولكن هذه الآراء عند وفاة أرسطو ذهبت لأنه لم يكن هناك من يسير على منوالها لأنه لا يوجد من يؤديها أو يدعمها ولقد جاءت نظرياته الاجتماعية في كتابه الرئيس (السياسية) ومن أهمها :

✓ نظرية نشأة المجتمع

✓ نظرية الرق

✓ نظرية قيام الثورات

✓ نظرية قيام مجتمع فاضل على غرار مدينة أفلاطون

نظرية نشأة المجتمع :

من أول الموضوعات التي تناولها بالدراسة موضوع تكوين الجماعات السياسية ، أي الجماعات الاجتماعية . وقرر أن الأسرة هي أول وحدة اجتماعية باعتبارها أول اجتماع تدعو إليه الطبيعة البشرية . بمعنى أن هناك حاجة أولية تتطلب اجتماع كائنين لاغني لأحدهما عن الآخر وهما الرجل والمرأة . ذلك أن الأسرة هي الوسط الصحيح الذي تتحقق فيه الحياة الاجتماعية ووظيفتها إشباع الحاجات اليومية . هذه الأسرة مع الأسر المجاورة تشكل القرية ، كما أن القرية من جهة أخرى مستعمرة طبيعية للأسرة ، وهذه المستعمرة أوسع نطاقاً من الأسرة ويسمح تكوينها بتقسيم العمل . ومن هذه القرية والقرى المجاورة تتكون الدولة أو المدينة وهي أكمل الوحدات الاجتماعية وتتوافر فيها فرصة الاكتفاء الذاتي . وعلى هذا فإن الدولة من خلق الطبيعية وإنتاجها ووظيفتها تحقيق سعادة الأفراد ، تلك السعادة التي لا تحقق بدون الدولة . كان يعتقد أن الرق ركن أساسي في الأسرة إضافة إلى الأم والأب والأبناء ، وكان يعتقد أن الإنسان من الصعب أن يعيش بمفرده ولا بد له من حياة اجتماعية مع الآخرين .

ويركز أرسطو على الفرد باعتباره حيواناً سياسياً ومدنياً بطبعه . إذ أن الإنسان بطبيعته (حيوان سياسي) أي مدني ، ومعنى هذه العبارة التي شاعت عن أرسطو أنه لا يمكن فصل الإنسان عن الحياة الاجتماعية ، ولا يتيسر فهمه معزولاً عنها ، وباعتباره أيضاً أكثر قابلية للحياة الاجتماعية من الحيوانات الأخرى . وهنا يعتقد أرسطو أن الشر لا يتواجد إلا من خلال الحياة الاجتماعية بين أفراد المجتمع فقد يكون هناك صراعاً أو منافسة أو عدم توافق اجتماعي أو حسد أو ظلم أو حروب فهذا يتبلور أو يتكون الشر من خلال هذه المعطيات الاجتماعية ، كما أنه يحتاج إلى قوانين لتنظيم علاقات الأفراد ببعضهم البعض ، فالقانون هو قاعدة الاجتماع السياسي ، كما إن العدالة من الضرورات الاجتماعية والأحكام العادلة هي التي تشكل القوانين .

علم الثروات عند أرسطو :

إن الإنسان داخل هذه الأسرة يستطيع أن يشبع حاجته الخاصة وحاجات الآخرين من التملك الفردي للمال والعقار وغيره وهذا يختلف اختلاف جذري عما قاله أفلاطون من إشاعة الملكية وكان أرسطو يحاول الوصول إلى العدالة والتي تعني الفضيلة ، مطابقة القانون وقد تعني التساهل في بعض الأحيان .

وهناك نوعين من العدالة عند أرسطو

العدالة التوزيعية : يقصد بها توزيع الأموال والمراتب على الجميع سواسية داخل المجتمع .
العدالة التعويضية : تهدف إلى تنظيم معاملة الأفراد داخل المجتمع وعدم الوقوع في الظلم عليهم من قبل رجال الجيش أو الحكام وذلك بما يضمن الإنصاف للجميع .

ومن خلال دراساته العميقة لمثل هذه الأمور تعرض لدراسة ظواهر اقتصادية متعددة مثل :

الإنتاج ، الاستبدال ، التوزيع ، الاستهلاك ومعايير تقويم الأشياء ، نظم النقد وأشكاله ووظيفته وما إلى ذلك مما يعتبر من صميم علم الاجتماع الاقتصادي .

ويمكن القول دون ما تجاوز أن أرسطو وليس الفزيوقراط أو آدم سميث هو صاحب الفضل في إنشاء علم الاقتصاد السياسي وهو أيضاً أول من قرر خطورة هذا العلم والظواهر التي يتناولها بالدراسة .

نظرية أرسطو في الرق : كان يعتقد إن الأسرة في اليونان تتكون من الرجل والمرأة و الأبناء والرق .

فالبيت يقوم على أربعة أركان : الزوج ، الزوجة ، الأبناء ، الأرقاء .

فالرق ركن ثابت فيها عنده وتكون الأسرة برئاسة ، الزوج باعتباره أقوى جسماً وأرجح عقلاً ، كما أن الله لم يهيئ المرأة لتكون كالرجل فيما يتعلق بالجيش وفن الإدارة أو الحكم والقضاء فضلاً عن أن تشاركه بالجنسية والحكم وتحدث عن وظيفة المرأة فقط هو قيامها بتربية الأبناء ورعاية الأسرة وبالنواحي المنزلية فقط تحت إشراف وتوجيه وسيادة الرجل وكذلك **للزوجة** في الأسرة إبداء الرأي وللرجل حق البت والحكم بعد تقليب النظر بمعنى أن الأسرة مملكة صغيرة يستوي على عرشها الرجل وهو بذلك هنا يمجّد الأسرة ويرى فيها مجتمعاً بسيطاً يتم فيه تعليم الفضائل المبدئية واكتسابها.

وكان الرق نظاماً اجتماعياً له **وظيفة اجتماعية** هي تحصيل الأوقات الضرورية لقوام الأسرة والقيام بالصعب من الأعمال . لأن الله خلقه كذلك جسماً بدون عقل . بينما الأحرار خلقهم الله وزودهم بالجسم والعقل ، وما دام الرق كذلك فهو أشبه بالحيوان ، وعلى ذلك فإنه لا ضير من شن الحروب للحصول على الرق (الحيوانات الأربعة) تماماً مثل صيد الحيوانات المتوحشة وقسم أرسطو المجتمع إلى أحرار وهم اليونان ، والأرقاء وهم من كانوا من غير اليونانيين أي من البربر ، هؤلاء البربر الذين لا يملكون أنفسهم ، ولا يتمتعون بأية حقوق مدنية . باعتبارهم من الآلات الصماء التي تخدم كما تخدم الدواب ، ولم يكتفي أرسطو بالأخذ بذلك ، كما كان الحال في المجتمع اليوناني ، وإنما بالغ في زيادة الفروع الفردية بين الأحرار والأرقاء حتى أنه اعتبر الأرقاء أدوات للأسرة أو آلاتها الحية (Instrument animes) أو أنه المجتمع المسترق الذي يقوم على أكتافه المجتمع الحر مع أن حياة المجتمع الحر مرهونة بأداء المجتمع المسترق لوظيفته . ومما لاشك فيه إن وجهة نظر أرسطو في الرق تؤخذ عليه . غير إننا إذا نظرنا إلى أرائه هذه من منظور اجتماعي نجد أنه كفيلسوف اجتماعي كان عليه أن يشاهد النظم الاجتماعية ويدرسها ويحللها ويكشف عن وظائفها الاجتماعية التي تقوم بها وهذا ما فعله مع مبالغه في تبرير الرق وتقريظه .

نظرية أرسطو في المدينة الفاضلة :

فضل المدينة باعتبارها من أرقى صور الحياة السياسية ، أما المركبات السياسية المترامية الأطراف مثل الإمبراطورية الفارسية فقد كانت من وجهة نظره مركبات غير متجانسة يستحيل عليها تحقيق الغاية من الاجتماع الإنساني .

شروط أرسطو لقيام المدينة الفاضلة :

يرى أرسطو إن الخيرات التي يستطيع الإنسان أن يستمتع بها على ثلاثة أنواع :

خيرات خارجية عنه ، خيرات الجسم ، وخيرات النفس . والإنسان السعيد من تهيأت له هذه الأنواع الثلاث ويلاحظ أن هذه الأنواع الثلاث ليست متكافئة في قيمتها فالتجربة تؤكد أن الفضيلة الكبرى إذا امتزجت بشيء يسير من الخيرات الخارجية هيأت سعادة أعلى مما تهيئه وفرة الخيرات الخارجية ، مع جزء يسير من الفضيلة .

ويتساءل أرسطو أليست الخيرات الخارجية إذا زادت عن حد معين قد تنقلب إلى أضرار ؟

على حين أن الفضيلة على العكس من ذلك لا إفراط فيها ، أي لا إسراف فيها ، ذلك أن الخيرات الخارجية خيرات الجسم في الحقيقة خادمة لخيرات النفس والعكس صحيح .

ويحدد أرسطو مجموعة من الشروط لقيام المدينة الفاضلة من أهمها :

١- مساحة المدينة التي ينبغي أن تكون متناسبة مع حاجة المواطنين وبحيث توفر لهم الحياة الميسورة دون أن يتقلب ذلك إلى الترف والبذخ ، ولا بد من تحصينها بحيث تغدو منيعة المداخل على العدو سهلة المخرج على

سكانها ، ومن الضروري أن يكون لها مرفأ على البحر لأهميته الدفاعية من الناحية الحربية ولتلقى المساعدات من الحلفاء ولأهميته الاقتصادية في التبادل التجاري وفي الاستيراد والتصدير .

٢- تكوين المدينة المورفولوجي والذي ينبغي أن يكون من تربة خصبة يسهل استغلالها ، وان تكون حولها موانئ طبيعية لعرقلة حركة المغيرين ، بالإضافة إلى ضرورة وجود مجموعة من القلاع والحصون وكذلك شبكة من المواصلات تربط بين أجزائها حتى تتقدم المدينة اجتماعيا وتقوى من الناحية الدفاعية ، ومن ثم يصعب غزوها ذلك وان كان أرسطو يعارض الملكية المشتركة ، فإنه يقرر وجوب جعل جزء من الأراضي ملكاً مشتركاً للدولة من أجل نفقات العبادة والتغذية المجانية للربط بين المواطنين والتوحيد بينهم .

أما الملكية الخاصة فلكل مواطن يوناني حصتان من الأراضي : الأولى في المدينة والثانية قريبة من الحدود ، مع مراعاة العدل في القسمة حتى يكون للمواطن مصلحة في الدفاع عن المدينة كلها .

٣- عدد سكان المدينة الأمثل الذي يراه أرسطو هو مائة ألف نسمة ، لأن ذلك يساعد على رخاء المدينة وتقدمها الفكري وميسراً للحكم الصالح وانتشار النظام وتوزيع المناصب عليهم حسب الكفاية .

- غير أن أرسطو يتخلى عن صفته الاجتماعية ويتحدث عن مجموعة من الإجراءات التعسفية التي يراها ضرورية لاستبقاء عدد المواطنين في المدينة في المستوى المناسب ، وهذه الإجراءات هي :

أ - الإجهاض

ب - إعدام الأطفال ناقصي التكوين والمشوهين وفاسدين الأخلاق أو التخلص منهم بالقائمهم أحياء في القفار والجبال طعاماً للسمك والوحوش والطيور EXPosition

ج - تحريم الزواج على الشيوخ والعجزة وعلى كل من يبلغ الخمسين من عمره

وظائف الدولة الأساسية وطبقات السكان عند أرسطو :

وللدولة ست وظائف أساسية ويقابلها ست طبقات من السكان وهي:

١- توفير المواد الغذائية وتهيئها للزراع

٢- المهن الصناعية ويزاولها الصناع

٣- الأسلحة لضبط السلطة في الداخل ودفع العدوان في الخارج ويتم ذلك بواسطة الجنود

٤- الثروات للحاجات الداخلية أو للحروب وتكون عند الطبقة الغنية

٥- العبادة ويقوم بها الكهان

٦- الإشراف على المرافق العامة والقضاء بين الناس وفض المنازعات ، ويقوم بذلك الحكام والقضاة

ولذلك ينبغي أن يتألف النظام الطبقي في المدينة على النحو التالي :

١- القائمون بإنتاج المواد الغذائية من الزراع ، والقائمون بتوفير السلع الاستهلاكية من الصناع والتجار .

وهؤلاء ليس عندهم الوقت الكافي لممارسة الأمور الأساسية الإدارية ، ومن ثم يحرمهم أرسطو من صفة المواطن ، ومن حق تملك الأرض أو أدوات الإنتاج ، وذلك على خلاف أفلاطون على اعتبار أنهم من العبيد والأرقاء المتوحشين

٢- رجال الإعلام والفن التشكيلي الذين يقدمون خدمات إعلامية ومستلزمات فنية لا غنى عنها في الحياة الاجتماعية

٣- جيش وطني يزود عن حياض الوطن ويتميز بالشجاعة التي هي ضرورية له ، ولما كان الجند هم أقوى المواطنين وأشجعهم فربما لا يرضون أن يكونون مجردين من السلطة لذلك يلزم أن يصبح الجند أنفسهم في نضجهم وكهولتهم حكاما وفي هرمهم قضاة .

٤- طبقة الأثرياء الذين يمدون الدولة بالمال اللازم للميزانية التي تنفق منها على تسليح الجيش وتنفيذ المشروعات .

٥- طبقة رجال الدين . ٦- طبقة الحكام ورجال القضاء .

الحكومة في المدينة الفاضلة : بالنسبة للحكومة في المدينة الفاضلة ، فقد ذهب إلى أن لها ستة أشكال ، ثلاثة منها صالحة والثلاثة الأخرى فاسدة .

فالحكومة الصالحة هي :

- ١- الحكومة الملكية أو المونارشية **Monarchique** : وهي التي يستقل بالحكم فيها ملك عادل رشيد .
 - ٢- الحكومة الارستقراطية أو حكومة الإشراف : وهي التي يتولى الحكم فيها جماعة من أمثال القوم وأفاضلهم
 - ٣- الحكومة الجمهورية : وهي التي يشترك فيها جميع أفراد الشعب عن طريق ممثليهم المختارين اختياراً حراً
- ✓ والحكومة الجمهورية حكم الشعب بالشعب للشعب .

نظام التربية عند أرسطو : (الضروري للحصول على المواطنين الأحرار) :

كان هناك كثير من التوصيات الأخلاقية والدراسات في هذا المجال المليئة بالنصائح التي لا تزال حتى يومنا هذا من أهم مقومات التربية العملية . وتحدث بعد ذلك عن الصداقة التي هي الكوبري الذي يربط بين الحياة السياسية والحياة الاجتماعية ومفهوم الصداقة عند أرسطو يتميز بالأتساع فهي تفيد عنده علاقة الإنسان بالآخر أيما كان نوع هذه العلاقة .

درجات الصداقة كما يراها أرسطو :

أولى هذه الدرجات وأدناها صداقة اللذة كصداقة الصغار ، وهي سريعة الحصول كما هي سريعة الزوال .
صداقة المنفعة وتبادل الفوائد كصداقة الشيوخ ، يدفعهم إليها ضعفهم وحاجتهم إلى من سواهم .
صداقة الفضيلة وهي أرفع الدرجات ، لأن الفضيلة تحيل الصداقة حبا متبادلاً قائماً على الاحترام والتشابه وهذا معنى الصداقة الحقيقي ، وما عداه صداقة على سبيل المجاز .

✓ نلخص من استعراض شروط أرسطو في قيام المدينة الفاضلة إلى أنها شروط غير واقعية على الرغم من ذلك تعتبر دراسة شيقة في بنية المجتمع وتخطيط المدن وتحديد سكان المجتمع إلى غير ذلك من الدراسات التي تعتبر من أهم مقومات الدراسة الموروفولوجية والديموجرافية ، ويرجع له الفضل في إنشاء عدد كبير من العلوم من أهمها علم المنطق الصوري ، الذي لا يزال يحمل اسمه في الوقت الحاضر ، وبحوث التاريخ المقارن التي عالجها في كتابه نظم المدن الإغريقية ، وأرسطو يبحث في استخلاص العلل والأسباب ، بمعنى أنه يبحث فيما هو قائم وليس فيما ينبغي أن يكون .
وبوفاة أرسطو بعد وفاة الاسكندر الأكبر بعام واحد انحدرت الدراسات الاجتماعية في اليونان انحداراً كبيراً ، لاسيما بعد تجزئة الإمبراطورية المقدونية إلى أشلاء وبعد نشوب الحروب الداخلية فيها ، فضلاً عن انتشار الفتن في المدن اليونانية ولم يعد اهتمام المواطن اليوناني حول إصلاح المدينة ، وإنما حول صلاح حاله فحسب

❖ المقصود بالأسكندر الأكبر هنا هو (الاسكندر المقدوني) الذي ذكره الدكتور في المحاضرة .

ما الفرق بين تفكير المسيحيين ومن سبقهم ؟

إن تلك الفلسفات سواء عند الفراعنة أو الهنود أو الصينيين أو اليونانيين لم تكن باعتبار دين الهي بل دين ارضي أما التفكير الاجتماعي عند الفلاسفة المسيحيين كان مبني على دين سماوي هو الدين المسيحي على الرغم بايماننا بأنه محرف ، فلو أخذنا اليونانيين كمثال لم يكن هناك كتب سماوية بل مجرد مرجعيات لهم كالسياسة والقوانين .

ونلاحظ في هذه المرجعيات :

أولاً : كلها كتب أو تعليمات أو دراسات من صنع البشر .
ثانياً : ليست صالحة لكل زمان ومكان فالبعض من الفلاسفة كتب مثل هذه الكتب مثل أفلاطون في كتابه الجمهورية بعد ذلك عدل عن هذه الآراء في حياته .

كليمان الإسكندري : (الذي يمثل الفلسفة المسيحية في نشأتها الأولى) ..

من أول الفلاسفة المسيحيين الذين وصلت إلينا أخبارهم (كليمان الإسكندري) وكان زعيماً لمدرسة الإسكندرية المسيحية ، وهو من الذين ناقشوا دعائم الملكية الفردية وأوضح أهمية المشاركات الوجدانية ومن فلاسفة المسيحية الذين عاصروا كليمان الإسكندري نجد القديس بولس وغيره ممن نادوا بتحرير الأرقاء ونصحوا الفقراء بالصبر ، والعبيد بالهدوء والسكينة ، واعتبروا التمييز بين الفقراء والأغنياء أشد ظلماً من التمييز بين الأحرار والأرقاء . ومن هنا كانت دعوتهم إلى المساواة الاجتماعية . ويبدو أن دعوتهم هذه لم تجد استجابة كبيرة ومن ثم لجأت بعض الطوائف المسيحية إلى حياة العزلة لفترات طويلة في ظل نظم اقرب إلى الشيوعية

القديس أوغسطين : (يمثل الفلسفة المسيحية في القرون الوسطى) ..

إذا كانت أفكار المسيحيين الأوائل أمثال كليمان الإسكندري وزملائه غير واضحة ، فإنها عند أوغسطين ومن جاء بعده أشد وضوحاً حيث استقى أصولها من الفلسفة اليونانية وأضفى عليها الروح المسيحية ، هذا ومن الموضوعات الاجتماعية التي كانت ذات أهمية خاصة لديه موضوع الأسس التي تقوم عليها الحياة الاجتماعية وكان من رأيه أن المجتمع ليس جمعاً من الناس كيفما اتفق ولكنه جماعة من الأفراد يشتركون في الأفكار والعواطف ويؤلفون وحدة معنوية تقوم على الرضا والمحبة ويهدف إلى غايات مشتركة ، أعلاها وحدة الدين .

وقد قسم أوغسطين الناس إلى مجموعتين :

أولاً- مدينة السماء :

أودع الله في قلوب أفرادها محبة الله ويهتدون بالقواعد والأحكام الدينية ويتعاملون في ظل القيم والفضائل المستمدة من الدين .

ثانياً- مدينة الأرض :

أودع الله في قلوب أفرادها محبة الذات ويؤثرون أنفسهم ويحكمون بمقتضى أغراضهم وشهواتهم .

- فهنا سيأتي في نهاية الدنيا المسيح فيفصل بين المدينتين فيفتح لأفراد مدينة السماء الجنة ويفتح لأفراد مدينة الأرض الجحيم . وهذا خلل عقائدي لأن الله هو الذي يفصل بين الخلائق وليس المسيح .

وهو كان يرى أن الحياة الاجتماعية في فجر نشأتها كانت تقوم على مبادئ القانون الطبيعي ، كما كان يرى ذلك شيشرون ، وكما جاء في التشريعات الرومانية ولكن الأخطاء التي يقع فيها البشر تتطلب اعتبار قيام القانون الوضعي ضرورة اجتماعية . ومن أسس القانون استمدت السلطة الزمنية دعائمها وبذلك توصلت لمبررات للرق والملكية الفردية والسياسية التي تعتبر من مستلزمات الدولة .

ذكر القانون الوضعي هنا خلل لماذا ؟ لأن المجتمع المسيحي ديني وأوغسطين قديس والقانون الوضعي معاناة من صنع البشر ، والمسيحية تستمد تعاليمها من السماء ، فهنا تناقض بين ما يدعون به وما يتم طرحه .

الملكية عند أوغسطين :

وكان يعتقد أن الملكية هي من حقوق الذات الإلهية باعتباره الخالق لكل شي ومن ثم فهو المالك لها وقد منحها الله للملوك والأباطرة والفرد في نهاية المطاف يستمد حقه في الملكية من حقوقهم في التملك ومعنى ذلك أن الملكية حق إنساني ينحدر من أصل قدسي ألهي ، خلل عقائدي اعتقاده أن هناك بينه وبين الله وسيط وهي أمور هو يعتقد على الرغم من انه قديس ، وهذا لا يستقيم مع ديننا الإسلامي الذي يأمرنا بعدم اتخاذ وسيط بين العبد وربّه .

الرق عند أوغسطين :

وناقش أوغسطين نظام الرق وأقره مثل أرسطو ، واعتبره من النظم الطبيعية ، على اعتبار ضرورة وجود طائفتين في المجتمع أحدهما لها الأمر والنهي والأخرى عليها الطاعة والاحترام ، كما أشار إلى الوظائف الاجتماعية والاقتصادية التي يقوم بها الأرقاء والتي قد يتوقف المجتمع عن السير بدونها .
وناقش أوغسطين أيضا كثيرا من الظواهر الاجتماعية من خلال بحوثه في السياسة ، فقد ناقش ظاهرة الحرب وأقر مشروعيتها واعتبرها ضرورة لا غنى عنها في الحياة الاجتماعية بشرط أن تغلف بالرحمة وتبتعد عن التنكيل والاستعباد ، على اعتبار أن الدول مثل الأفراد ينبغي أن تكون بينها بعض سمات المشاركات الوجدانية حتى ولو كانت توجد عداوة بين بعضها البعض ، ولم تفته مناقشة المجتمع العالمي أو الجمهورية العالمية التي يعيش الناس جميعاً في ظلها متحابين متعاونين على أسس اجتماعية وهي نفس فكرة الجامعة الإنسانية ، التي نادى بها جماعة الرواقيين .

القديس توماس الإكويني (سان توماس) : جاءت أفكار سان توماس في القرن الثالث عشر الميلادي غير متأثرة بالدين على العكس من الدراسات الاجتماعية في العصور الوسطى التي اضطغت بالصبغة الدينية مثل أفكار أوغسطين ، كما احتدم الصراع على السلطة بين البابوية والأباطرة ولم يستطع مفكري العصور الوسطى من التخلص من سيطرة رجال الدين والقواعد الدينية .

الوجود الاجتماعي والحكومة عند سان توماس :

وناقش سان توماس الوجود الاجتماعي في أهم مؤلفاته بعنوان حكومة الأمراء ، وأعتبره مثل أرسطو ، من الأمور الطبيعية التي تنزع إليها الكائنات الحية ، حيث توجد تجمعات حيوانية وجماعات إنسانية . بيد أن التجمع الحيواني يرجع إلى الغريزة ، والجماعة الإنسانية تصدر عن الطبيعة العاقلة والإرادة الإنسانية تلك الإرادة الإنسانية التي تعمل على تنظيم واستمرار الاجتماع الإنساني الذي ينشأ تلقائيا لا صناعيا ، كما قد يفهم ذلك بعيدا عن الواقع الاجتماعي .

وترتبا على ذلك فإنه من الضروري لتنظيم هذا الاجتماع من مجموعة من القوانين التي تحكم علاقات أعضاء هذا المجتمع الإنساني، على اعتبار أن المجتمع من وجهة نظره : عدد من الأفراد يعيشون منتظمين خاضعين لمجموعة من القوانين العادلة ويسعون نحو هدف واحد وغايات مشتركة ، والمجتمع طبقا لهذا التعريف يحتاج إلى هيئة تنظيمية هي الحكومة ، ومن ثم فإن الحكومة ضرورة اجتماعية . ووظيفتها من وجهة نظره تشبه وظيفة (النفس) في جسم الإنسان فكما أن النفس تسهر على سلامة وتنظيم شئون الجسم فإن الحكومة أيضا تحرص على سلامة المجتمع واستمراره وتقدمه . ذلك أن النفس تتولى شئون الجسم والحكومة تتولى شئون الدولة والحكومة صالحة إذا توخت شئون الدولة (حكومة الأفراد الأحرار) ، وهي فاسدة إذا توخت المصالح الخاصة لأعضائها (حكومة الأفراد الأرقاء) ذلك أن الحرية آية عادلة الحكومة والعبودية آية فساد الحكومة . كما أن الحكومة الفاسدة مثلها مثل سلطة الأسياد على عبيدهم وأرقائهم ، على حين أن الحكومة الصالحة تفضل لمواطنيها الأوضاع التي لا تؤدي بهم إلى الموت السياسي والمدني .

❑ ما الفرق بين الحكومة الصالحة والفاسدة ؟

الحكومة الصالحة (الأحرار) : تقدم المصلحة العامة (مصلحة الشعب) .
الحكومة الفاسدة (الأرقاء) : تقدم المصلحة الشخصية (مصلحة خاصة) على المصلحة العامة .

الرق عند سان توماس :

هناك تناقض في كلامه حيث تحدث عن ضرورة القضاء على الرق تمشيا مع المبادئ السمحة التي جاءت بها الديانة المسيحية بينما نلاحظ في وقت آخر انه اعترف بوجود الرق ووظيفته الاجتماعية والاقتصادية وبرر وجهة نظره بنظريات القدامى التي تدعو الرق وتشيد بفضله في زيادة الإنتاج وفي تحقيق التوازن في المجتمع

وظيفة الدولة عند سان توماس :

ويناقش سان توماس موضوع الدولة ويحدد وظيفتها بأنها ، تأمين سلامة المواطنين من الأخطار الداخلية والخارجية ، عن طريق وضع التشريعات القائمة على مبادئ القانون الطبيعي التي تنظم علاقات وسلوكيات الأفراد على أسس من العدالة الاجتماعية ، مثلما كان الوضع في الإمبراطورية الرومانية (ومتفقا مع ما يوحى به العقل ويتفق مع الصالح العام) وأضاف أن التشريعات تتطلب تحديد أساليب المسؤولية والجزاء مع ضرورة وجود الأجهزة التنفيذية التي تعمل على تنفيذ أحكام الأجهزة القضائية على اعتبار أن التشريعات بدون تلك الأجهزة التي تسهر على تقريرها وتنفيذها تصبح حبرا على ورق . ولم يعتبر القصاص من المذنبين وسيلة للتنكيل بهم ، وإنما مجرد تقويمهم وإقامة العدالة في المجتمع ، وعلى رجال القضاء الرجوع إلى ضمائرهم قبل إصدار أحكامهم باعتبارهم أعضاء في المجتمع . ومن ثم فإن الجزاء في نظره باعتباره عاملا من عوامل السلام داخل المجتمع له وظيفتان :

أحدهما أخلاقية : وهي تأديب المجرمين وردعهم ، والثانية اجتماعية : وهي إقرار العدل وسيادة الطمأنينة .

النواحي الاقتصادية عند سان توماس :

ناقش النواحي الاقتصادية ولا سيما ظاهرة الربا التي كانت منتشرة في المجتمعين اليوناني والروماني وزاد انتشارها في العصور الوسطى ، وقال انه من الضروري تحريم الفائدة الناتجة عن الربا وأنه يجب أن يوضع أثمان عادلة للسلع المنتجة ، **والثمن العادل من وجهة نظره هو الذي لا يلحق غبناً أو إرهاقاً للمستهلك**

الوظيفة الحربية للدولة عند سان توماس :

ومن جهة أخرى ناقش سان توماس الوظيفة الحربية للدولة ، على اعتبار أن حماية المجتمع والزود عن حياضه لتوفير الأمن والطمأنينة من أهم وظائف الدولة . وإذا كان قد قيد الحروب بضرورة أن تكون مشروعة بإعلانها عن طريق السلطة الشرعية في البلاد وبشرط أن تكون لدفع ظلم أو استرجاع حقوق مهضومة بحيث تكون مقصورة على تحقيق تلك الأهداف ، وليس لغرض الفتح و الغزو وحب السيطرة والتوسع ، وهي شروط تشبه شروط الحرب الإسلامية ، فإنه من جهة أخرى **أباح استخدام الأساليب الميكيفيلية القائمة على الخداع والنفاق والتمويه في الحرب مع اعتبار الأسرى أرقاء . ومن هنا نراه وهو من رجال الدين كان حريصاً على المبادئ الدينية في إعلان الحرب ، وغير حريص عليها في ممارستها وما يترتب عليها**

الملكية عند سان توماس :

أما عن الملكية فقد أوضح سان توماس أنها جائزة شرعاً، وإنها اصطلاح اجتماعي نافع ويرتبط بالصالح العام . ذلك أن الملكية ليست شراً أو أثماً في ذاتها مهما تضخمت ، ولكن الأثم أو الشر في الاستئثار بالمنافع وحرمان الفقراء . وأضاف إلى ذلك أن **الفقر عندما يصبح عاماً ويتعذر على العامة الحصول على القوت تصبح الأشياء في المجتمع عامة وملكيته مشتركة .**

ابن خلدون : هو عبد الرحمن أبو زيد ولي الدين بن خلدون الحضرمي اسمه عبد الرحمن وكنيته أبو زيد ولقبه ولي الدين وشهرته ابن خلدون . ولد في تونس (٧٣٢ هـ - ١٣٣٢ م) وتوفي بمصر سنة ٨٠٨ هـ - ١٤٠٦ م اشتغل بالوظائف العامة والسياسة حيث اشتغل كاتباً وأستاذاً وقاضياً للقضاة وحجاباً (رئيساً للوزراء) وتقلب في كثير من الوظائف وفي كثير من دواوين الملوك والأمراء في تونس والمغرب والأندلس ومصر والشام ووصل إلى أن أصبح قاضي القضاة المالكية في مصر كتب كتابه ديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر ، هذا الكتاب يعتبر مقدمة ابن خلدون ويعتبر كتابه الأول وهو يتحدث فيه عن علم العمران البشري لكن تصنيف الكتاب يندرج تحت كتب التاريخ لأنه لم يظهر بعد علم الاجتماع وقد كتب سبعة كتب تاريخية بعد هذا الكتاب ، هو حينما قرأ التاريخ بمثل ما قرأه كثير من الفلاسفة أو العلماء أو الأفراد أو الأشخاص وجد أن هناك كثير من المغالطات والكثير من المبالغة وذلك لعدة اعتبارات دينية أو مذهبية أو طائفية أو عرقية أو خلاف ذلك أو تم نقله عن طريق الخطأ ، وهي تعتبر أخطاء جوهرية في مسيرة الحياة الاجتماعية ولا تتفق مطلقاً مع العقل والمنطق لذلك حاول أن ينقيه ذلك بوضع قوانين طبعاً لا نستطيع أن نسميها قوانين اجتماعية لأنها تختلف من مجتمع إلى آخر ومن حضارة إلى حضارة أخرى ومن ثقافة إلى أخرى ومن زمن إلى آخر ولكنها أصبحت مرجعية .

ابن خلدون وفكرة علم الاجتماع :

توصل ابن خلدون قبل أوجيست كونت وكتيليه (هو من أطلق على علم الاجتماع الفيزياء الاجتماعية) بخمسائة عام إلى هذه الفكرة الجوهرية وهي انه يوجد قوانين تحكم مسيرة الحياة الاجتماعية وليس كما يعتقد البعض بان التاريخ تسيره الأهواء

البحوث الاجتماعية قبل ابن خلدون : وجد ابن خلدون أن الذين تناولوا الموضوعات الاجتماعية بالدراسة من قبله يمكن تصنيف بحوث إلى ثلاثة نماذج هي:

١- بحوث تاريخية خالصة:

وهي التي اقتصر أصحابها على وصف الظواهر الاجتماعية دون استخلاص النتائج من هذه الظواهر ، وقد تكون معارك أو سقوط دول أو قيام أمم أو حضارات دون تحليل ودراسة لأسباب حدوث تلك الظواهر ومثال ذلك ما فعله بن حزم في دراساته للملل والنحل ، وكما فعل الفقهاء والمؤرخون في دراستهم لتاريخ التشريع وتاريخ القضاء ، وتاريخ التربية وتاريخ الدين . ومن الواضح أن مثل هذه البحوث لا تدخل في نطاق علم الاجتماع على اعتبار أن ذلك العلم لا يقف عند حد وصف الظواهر الاجتماعية كما أن غرضه ليس مجرد هذا الوصف بل انه يرمى إلى تحليلها للكشف عن طبيعتها وعن العلاقات التي تربط بينها وما تخضع له من قوانين علمية. وقد يستخدم الوصف في الوصول إلى تلك القوانين ولكن هذا الوصف يستخدم ليكون مجرد تمهيد للغرض الأساسي وهو ربط الأسباب بالمسببات والمقدمات بالنتائج واستخلاص القوانين العامة التي تحدد العلاقات بين تلك الظواهر .

النظرية الدائرية تعني : أنه في حالة سقوط حضارة أو دولة فإنه في المقابل تقوم حضارة أو دولة أخرى ، ونشير هنا إلى سبب سقوط الدول أو الحضارات هو الظلم وعدم المساواة والعدل بين أفراد المجتمع ، ولا تقوم إلا من خلال العصبية أو الدين .

٢- بحوث وعظية وإرشادية :

وهي تلك البحوث التي تدعو إلى المبادئ التي تقررها نظم المجتمع وما يسوده من معتقدات وتقاليده ارتضاها المجتمع وقبلها العرف الخلقي ، وذلك ببيان محاسنها وترغيب الناس فيها ، وتنبيها في نفوسهم وحثهم على التمسك بها وتحذيرهم من تعدي حدودها وإيضاح ما ينبغي أن يتخذوه في تطبيقها ، وتلك هي الطريقة التي سلكها بعض علماء الدين والخطابة والأخلاق ، وبعض الباحثين في المجالات السياسية والدينية مثل :

- ❖ ابن مسكويه في كتابه (تهذيب الأخلاق) والغزالي في كتابه (أحياء علوم الدين) ،
- ❖ والمارودي في كتابه (الأحكام السلطانية) والطوطوشي في كتابه (سراج الملوك) وما إلى ذلك .

ومن الواضح أن هذه البحوث لا تدخل أيضا في نطاق علم الاجتماع على اعتبار أن ذلك العلم كما هو معروف لا شأن له بالوعظ والإرشاد ولا بالدعوة إلى المبادئ وإنما يتناول بالدراسة مشكلات المجتمع ، كما يتناول علم الكيمياء الظواهر الطبيعية ، ليس لمجرد الوقوف على حقيقتها وإنما لتحديد العلاقات التي تربط بينها .

٣- بحوث فيما ينبغي أن يكون :

وهي بحوث هدفها الرئيسي هو ما ينبغي أن تكون عليه الظواهر الاجتماعية طبقا للمنظور الذي ينظر منه كل منهم إلى المجتمع . بمعنى أنها دراسات إصلاحية ترمي إلى تغيير النظم وإصلاح الحياة الاجتماعية على الوجه الذي يلائم نظريات أصحابها في العدالة والسعادة والفضيلة وما إلى ذلك.

ومن أمثلتها : بحوث أفلاطون في كتابيه الجمهورية والقوانين ، وأرسطو في كتابيه الأخلاق والسياسة ، والفارابي في كتابه أراء أهل المدينة الفاضلة .

حيث كان هدف كل منهم الوصول إلى المجتمع الذي ينبغي أن يكون في مختلف ظواهره ، أو في بعضها ، حتى يكون مجتمعا فاضلاً في نظره ، ووفق ما يذهب إليه من أراء فلسفية عن مختلف شئون الاجتماع والأخلاق ومقومات الحكم وما إلى ذلك ، ومن الواضح أيضا أن هذه البحوث لا تدخل في نطاق علم الاجتماع على اعتبار أن هذا العلم كما هو معروف لا شأن له بما ينبغي أن يكون ، وإنما يتناول بالدراسة ما هو كائن للكشف عن طبيعته وقوانينه والعلاقات التي تربط بين مختلف الظواهر الاجتماعية .

✓ نلخص من هذا إلى انه لا يوجد بين الدراسات الاجتماعية السابقة على مقدمة ابن خلدون نوع من الدراسات يتفق مع ما نسميه الآن بعلم الاجتماع ، وأنه قبله لم يفكر أحد في إنشاء ذلك العلم أو وضع أساس له لأن دراسة **ظواهر علم الاجتماع** لا تتاح إلا لمن تثبت لديه أنها لا تسير حسب الأهواء والمصادفات ، وإنما تسير حسب **قوانين ثابتة** مطردة . وهذه الحقيقة لم يصل إليها تفكير احد من قبل ابن خلدون فضلاً على أن نقيضها كان هو المسيطر على أفكار الباحثين جميعاً ، لأنه كان يعتقد أن الظواهر خارجة عن نطاق القوانين وخاضعة لرغبات القادة وتوجيهات الزعماء والمشرعين ودعاة الإصلاح الاجتماعي .

ملاحظة : القوانين عند أوجست كونت هي **العوارض الذاتية** عند ابن خلدون ، وعلم الاجتماع عند أوجست كونت هو **علم العمران البشري** عند ابن خلدون .

خطوات ابن خلدون لإنشاء علم الاجتماع :

تناول الموضوعات التالية في سبيل إنشاء علم الاجتماع :

أولاً - موضوع العلم وظواهره وأهدافه :

توصل إلى أنها يجب أن تدرس دراسة موضوعية كما تدرس بقية العلوم الأخرى، وذلك للوقوف على طبيعتها وما يحكمها من قوانين وبذلك وضع أسس علم جديد اسماءه (علم العمران البشري) أو (الاجتماع الإنساني)

١ - موضوع علم الاجتماع :

يدرس هذا العلم **الظواهر الاجتماعية وتعرف على أنها القواعد والاتجاهات العامة التي تتخذ لتنظيم الحياة وتنسيق العلاقات التي تربط بين أفراد المجتمع بعضهم ببعض وتربطهم بغيرهم** ، ولم يحاول ابن خلدون تعريف هذه الظواهر ولا أن يبين خصائصها ، ولكنه كان لديه فكرة واضحة عن هذه الظواهر ومميزاتها واتساع نطاقها ، ولم يغادر أي نوع منها مثل الأسرة والتربية والاقتصاد والأخلاق إلا وقام بدراستها ، ومن أهم خواص هذه الظواهر أنها لا تجمد على حال بل تختلف في أوضاعها باختلاف الأمم والشعوب وتختلف في المجتمع الواحد باختلاف العصور ، وهذا ما يميز علم الاجتماع عن بقية العلوم الأخرى .

وترتيباً على ذلك فإن **موضوع علم الاجتماع هو** بنو الإنسان في وجودهم الذي يقوم على الاعتماد المتبادل ، وليس معنى ذلك أن موضوعه جسم الإنسان وما يتصل به من الأعضاء ووظائف وإنما يقوم على الاهتمام بما يحدث عند لقاء إنسان بآخر أو عندما يشكل الناس جماعات أو عندما يتعاونون أو يتقاتلون . إذاً **موضوع علم الاجتماع** ليس على الإطلاق فرداً واحداً ولكنه يمثل على الأقل فردان معاً علاقة بشكل ما ، وتتعدد **الظواهر الاجتماعية** فمنها ما يتعلق بشئون السياسة ونظم الحكم ، ومنها ما يتعلق بشئون الاقتصاد ونظم إنتاج الثروة وتداولها وتوزيعها واستهلاكها ، ومنها ما يتعلق بشئون الأسرة ونظم الزواج والطلاق والقرابة والمواريث ومنها ما يتعلق بشئون الأخلاق والتربية ونظم الإعداد للحياة ، ومنها ما يتعلق بشئون التكتل الاجتماعي نفسه ، وشئون اللغة والتفاهم ونقل أفكار الناس بعضهم إلى بعض ومنها ما يرتبط بشئون الفن والجمال الخ .

٢- التقسيم المنهجي لظواهر علم الاجتماع :

طالب ابن خلدون بأن يكون بحث هذه الظواهر في مجموعتين على النحو التالي :

أ- ظواهر تتعلق ببنية المجتمع : أو ما يعرف (بالمورفولوجيا الاجتماعية)

وهي مجموعة الظواهر التي تتصل بالبدو والحضر وأصول المدن القديمة وتوزيع أفراد الإنسانية على المساحة التي تشغلها ، والنظم التي تسير عليها المجتمعات في هجرة أفرادها ، وتخطيط المدن والقرى ، وأثر البيئة الجغرافية في هذه الظواهر ، وهذه الشعبة أطلق عليها **دور كايم** علم البنية الاجتماعية أو المورفولوجيا وهو يعتقد انه هو أول من فطن إلى مسائلها وخصائصها، ولم يدري انه سبقه في ذلك **ابن خلدون** قبل خمسة قرون

ب- ظواهر تتعلق بالنظم العمرانية :

أي النظم الاجتماعية ، وتختلف هذه النظم باختلاف وجوه النظام النشاط العمراني وقد تناول دراسة كل مجموعة متجانسة على حده وعرض في ثنايا دراساته تلك إلى الظواهر السياسية والاقتصادية والتربوية والأسرية والأخلاقية والجمالية واللغوية والدينية .

٣- هدف علم الاجتماع :

هو دراسة الظواهر الاجتماعية للكشف عن العلاقات التي تربط بينها والقوانين التي تحكمها ، إذا فالغرض النهائي والاهم هو الوصول إلى تلك القوانين **وينقسم هدف علم الاجتماع الى قسمين :**

هدف مباشر : وهو الذي يقوم على أسس نظرية هدفها الكشف عن طبيعة الظواهر الاجتماعية ووظائفها والوقوف على القوانين التي تخضع لها .

هدف غير مباشر : يتلخص في الانتفاع بحقائق الاجتماع وقوانينه في تصحيح حقائق التاريخ وتعليل حوادثه وأخباره حيث كان ابن خلدون حريصا على تخلص البحوث التاريخية من الأخبار الكاذبة والخاطئة واعتبرها غاية مضافة إلى غايات علم العمران .

وثمة نقطة تجدر الإشارة لها وهي أن ابن خلدون كان يدرس الظواهر في حالة سكونها (بمعنى استقرارها) وفي حالة حركتها (بمعنى تطورها) ، وتعني بالمصطلحات الحديثة (الاستاتيكية والديناميكية) ، أي اهتم بدراسة الظواهر الاجتماعية من الناحية التشريحية بمعنى دراستها في الحالة التي هي عليها وفي مكان وزمان معينين ويدرس في الوقت نفسه تطورها والقوانين التي يخضع لها هذا التطور ولم يسبقه أحد في الربط بين الناحيتين التشريحية والتطويرية في دراساته ، على حين أن أوجست كونت قد فصل بينها وهذا الفصل لا يتفق مع نظرية علم الاجتماع الحديثة ، وعلى ذلك فلم يسبق ابن خلدون على الدراسة بهذا الأسلوب أحد .

ثانياً – ضرورات نشأة المجتمع :

هناك ضرورات تدفع الأفراد إلى تكوين مجتمع ومن أهمها من وجهة نظر ابن خلدون ما يلي :

١- ضرورة التعاون : الفرد في حاجة إلى التعاون مع أخيه ، حيث يجد كل ما يشبع دوافعه وبذلك ينشأ التضامن الذي هو أقوى الدعائم التي يقوم على المجتمع ، ويعتبر ذلك استكمال لخواصه النوعية والجنسية .

٢- الضرورة الدفاعية : وقد تكون لكي يحتمي الإنسان بغيره في المجتمع من مواجهة الحيوانات المتوحشة أو الدفاع عن الأفكار أو الأديان أو الآراء أو الفلسفات .

٣- ضرورة السلطة : يتلمس منشأها فيجدها قائمة في درء العدوان بين الناس ولا بد من وازع يدفع بعضهم عن بعض ولا تكفي التشريعات والقوانين بل لابد من وجود سلطة لتطبيق النظام وعدم إشاعة الفوضى .

٤- ضرورة الاستئناس بالغير : وهو شعور غرس في ذات الإنسان ويتصف بالتلقائية ، وان كانت خاصية نفسية فإن تركيز ابن خلدون عليها يجعله يتفوق على وجهة نظر المادية التاريخية الحديثة التي تعتبر أن أساس المجتمع هو الضرورة الاقتصادية فحسب .

٥- ضرورة الحياة الجمعية : هي تلقائية تعتمد على ميل الفرد للمشاركة في تحقيق الحياة الجمعية وحتى لا تكون سلسلة من العدوان والاضطرابات ، فلا يستطيع الإنسان أن يعيش بمعزل عن الناس مهما كان يملك من مال أو سلطة أو جاه .

ثالثاً - الظواهر التي تحيط بالإنسان في المجتمع : يرى ابن خلدون أن المجتمع بالصورة التي عرضها ينطوي على مجموعتين من الظواهر ، وهي تؤثر في الإنسان وتتأثر به :

مجموعة الظواهر الطبيعية: وهذه يجدها الإنسان حوله ويخضع لمؤثراتها ، ويكيف نفسه وفقاً لمتطلباتها ، ومكوناتها قد تتصل بالإنسان مباشرة مثل الجنس والدين ، وقد تتصل بالإنسان بصورة غير مباشرة مثل العوامل المناخية كالحر والبرد وما بينهما من درجات .

مجموعة الظواهر الاجتماعية: وهذه يعمل المجتمع على إيجادها وهي النظم الاجتماعية التي تيسر له إشباع دوافع أعضائه ، ولا توجد كلها منفصلة وإنما المجتمع يمثل الجذع الذي تنفرع منه الأغصان التي هي الظواهر ، بمعنى أنها كل متماسك الأجزاء ووحدة حية تتفاعل عناصرها وتتشابك أثارها ، ويترتب عليها ما نسميه بالتيارات والأنسيقات الاجتماعية ، ويرى ابن خلدون أن فصل أي ظاهرة عن المجتمع يعود بالضرر على المجتمع وعلى الظاهرة نفسها .

وهاتان المجموعتان من الظواهر لا تعمل إحداها مستقلة عن الأخرى وإنما لكل منهما تأثير على الأخرى ، بحيث إذا حللنا إحدى الظواهر الاجتماعية نجد أن بعض عناصرها يعود إلى أصول طبيعية والبعض الآخر يعود إلى أصول اجتماعية مماثلة لها .

ابن خلدون منشئ علم الاجتماع : مما يؤكد أصالة ابن خلدون كمؤسس لعلم الاجتماع هو قوله أن **الظواهر الاجتماعية** لا تتأثر بالظواهر الطبيعية فحسب بل تتأثر بظواهر من نفس نوعها ، وذلك أن المدرسة المادية التاريخية مدرسة كارل ماركس ، تتعد أنها هذه الظواهر لا يمكن تفسيرها إلا بقوانين اقتصادية ، ومدرسة تين وميشيل التي تفسرها بعناصر جغرافية ، ومدرسة هربرت سبنسر تفسرها بعوامل بيولوجية تطورية . على حين أن المدرسة النفسية (تارد وجوستاف لوبون) تفسرها بعوامل اجتماعية من طبيعتها وهي تتفق مع ابن خلدون في هذه النقطة ، **ومما يشير إليه في مقدمته أن :**

❖ تأثير العوامل الطبيعية لا يحدث بدون التفاعل مع العوامل الاجتماعية .

❖ تأثير العوامل الطبيعية أقل كثيراً من تأثير العوامل الاجتماعية في بعضها البعض .

ومما يدل على وضوح فكرة المجتمع في ذهنه أنه **قارن بين المجتمعات الحيوانية والبشرية من حيث الجوهر والعوارض .**

فاجتماع الحيوان يكون الدافع إليه الفطرة (أي الغريزة) .

أما الاجتماع الإنساني فالدافع إليه الفطرة والعقل معاً .

ولا يسعنا أمام كل هذا إلا أن نقرر أن ابن خلدون هو المؤسس الأول لعلم العمران ، أي لعلم الاجتماع .

أسئلة ذكرها الدكتور في نهاية المحاضرة ..

✗ أيهما أشد تأثيراً على الآخر العوامل الاجتماعية على الاجتماعية أو العوامل الطبيعية على الاجتماعية ؟
العوامل الاجتماعية على الاجتماعية .

✗ ما هي مجموعة الظواهر التي تحيط بالإنسان ؟ الظواهر الطبيعية والظواهر الاجتماعية

✗ ماذا يسمى علم الاجتماع عند ابن خلدون ؟ علم العمران البشري

✗ بماذا تفوق ابن خلدون على غيره من الضرورات الخمس ؟ تفوق بالاستئناس بالغير

✗ ما هو دافع التجمعات الإنسانية الفطرة أم العقل أم الحاجة الإنسانية ؟ الفطرة والعقل معاً

رابعاً - مناهج البحث في علم العمران

اعتمد ابن خلدون في بحوثه على ملاحظة الظواهر الاجتماعية في الشعوب التي أتيح له الاحتكاك بها ، وتعقب هذه الظاهر في تاريخ هذه الشعوب في العصور التي سبقت عصره ، وتعقب نظائرها وأشباهاها في تاريخ الشعوب الأخرى والموازنة بين هذه الأوضاع جميعها والوقوف على طبائع الظواهر وعناصرها الذاتية وصفاتها العرضية وما تؤديه من وظائف في حياة الأفراد والجماعات وفي ضوء هذه الاعتبارات استخلص ما تخضع له من قوانين وعلاقات . ومن هذا يتضح انه اتبع في دراساته طريقة مغايرة لطرائق سابقيه ، بل أنه انتقدها وأظهر عدم ملاءمتها وقد استخدم طريقته الخاصة في البحث التي تشكل منهاجاً علمياً يقوم على : الملاحظة والتجربة والمنطق العلمي واستقراء الحوادث بالإضافة إلى مزيد من الاهتمام بمنطق المقارنة والتحليل . واشترط ابن خلدون انه يجب على عالم التاريخ قبل أن يفسر التاريخ ويعلله أن يلم بدراسة شئون العمران من سياسية واقتصادية ودينية حتى يستطيع في ضوء تلك المعرفة أن يصحح ما بين يديه من الحقائق ولعله يريد أن يقول أن المؤرخ لكي يشرح ويفسر وقائع التاريخ ويتنبأ بما يمكن أن يقع من أحداث ينبغي أن يكون من علماء الاجتماع .

مراحل منهاج ابن خلدون : هناك مرحلتين لبحث الظواهر الاجتماعية وهي :

المرحلة الأولى : التي تتمثل في إجراء ملاحظات حسية وتجميع الوقائع التاريخية لظواهر الاجتماع ، ونقصد بذلك جمع المادة الأولية اللازمة لموضوع البحث من المشاهدات ومن بطون التاريخ والابتعاد عن الأخطاء التي وقع فيها من سبقه ، ونقد هذه الملاحظات والمشاهدات وهو ما يسمى بالنقد السلبي في البحث العلمي

المرحلة الثانية : وتتمثل في عمليات عقلية تجريها على هذه المواد الأولية ويصل بفضلها إلى الغرض الذي قصد إليه من هذا العلم وهو الكشف عما يحكم الظواهر الاجتماعية من قوانين ، وتعتمد هذه المرحلة على الوصف التحليلي أو الإيجابي الذي يقتضي من الباحث أن يتبع الأسس المنهجية وهي الملاحظة ، التجربة ، الاستقراء ، للوصول إلى هذه القوانين .

أخطاء الباحث في المرحلة الأولى في منهاج ابن خلدون :

أعطى ابن خلدون أمثلة على المرحلة الأولى توضح قصور مناهج سابقيه من المؤرخين فقد تبين له بالدراسة والبحث أنهم يسيرون في دراسة التاريخ على طريقة فاسدة كل الفساد ، وتجمع بين الغث والسمين ، كما وجدهم يعتبرون التاريخ نوعاً من القصص الشعبي الدارج الذي يرويه الرواة والحفاظ من العامة دون تصحيح أو تمحيص ووجد أن رواياتهم تتناقض مع الواقع ومع طبائع الأشياء ، وتجاوز نطاق العقل البشري إلى خوارق الطبيعة وقد أرجع ابن خلدون أسباب قصور مناهجهم إلى :

١- توهم الصدق وهو كثير :

على اعتبار أن الاعتماد على النقل دون النظر في أصول العادة وقواعد السياسة وشئون المجتمع ، وعدم قياس الغائب بالشاهد ، والحاضر بالذهاب لا بد أن يؤدي بنا إلى البعد عن الحقيقة الكاملة .

٢- التشيعات للآراء والمذاهب :

إن النفس إذا كانت على حال الاعتدال في قبول الخير أعطته حقه من التمهيص والنظر حتى تتبين صدقه من كذبه ، وإذا خامرها تشيع لرأي أو نحلة قبلت ما يوافقها من الأخبار لأول وهلة .

٣- الثقة بالناقلين :

أن تصديق الباحث لما يسمعه كما يرويه ثقة المؤرخين غير كاف وإنما عليه أن يضع الحقائق التاريخية تحت مجهر الطريقة النقدية بوجهيها ..

أ/ النقد الداخلي : وهو انه يجب على الباحث أن يناقش الرواية في ذاتها وأن يتعرف إلى أي مدى تتفق مع طبيعة الأمور ومع الظروف والملابسات التي يحكيها الراوي .

ب/ النقد الخارجي : وهو أنه يجب على الباحث من أن يتأكد من أمانة الراوي وصدقه وسلامة ذهنه وطهارة عقيدته ومثانة خلقه وقيمة شخصيته .

٤- أخطاء الذهوب عن المقاصد :

فكثير من الباحثين لا يعرف القصد مما عاينه أو سمعه ، وينقل الخبر على ما في ظنه وتخمينه فيقع في الكذب ، ويغض الطرف عن الغاية المستهدفة من قص الحوادث أو سرد الروايات .

٥- تزلف العلماء لأصحاب النحلة بالثناء والمديح :

وهو تزيف للحقائق يجعل كل شيء بعكس ما هو عليه ، وذلك للوصول للمناصب أو الجاه أو السلطان وبالتالي فبحوثهم هؤلاء مليئة بالمتناقضات .

٦- جهل المؤرخين بطبائع الأحوال في العمران :

وهذا الجهل يعتبره ابن خلدون خطأ فاضحاً ، وأنه يجب على الكاتب في التاريخ ألا يكتفي بالوصف بالكتابة فقط بل لابد أن يكون مدرك لشنون العمران السياسية أو الثقافية أو الدينية .

المحاضرة الحادية عشر : أوجست كونت وعلم الاجتماع

بدأ الدكتور المحاضرة بمقارنة بسيطة بين ابن خلدون وأوجست كونت تضمنتها لكم في هذا الجدول :

العالم	مسمى هذا العلم عنده	الفكرة الأساسية	توصل إلى هذه الفكرة من خلال
ابن خلدون	علم العمران البشري	العوارض الذاتية	قراءة التاريخ
أوجست كونت	علم الاجتماع	القوانين	الحياة الاجتماعية في فرنسا في تلك الفترة

أوجست كونت : عاش خلال الفترة ١٧٩٨ - ١٨٥٧ ، وهو فيلسوف اجتماعي فرنسي من مفكري القرن التاسع عشر ، التقى بسان سيمون وهو في العشرين من عمره ، وكان يقرأ البحوث ويلخصها له ، كما كتب الكثير من المقالات العلمية في مجلة المنظم ، **وكان يقول :** إن اتصالي بسان سيمون قد علمني ما لم يكن في إمكاني أن اعرفه لو قضيت عشرات السنين بين أحضان الكتب وحدها ، ثم عاد بعد انفصاله عنه وهاجمه هجوما قاسيا وأنكر أي فضل له عليه ، **وكان يعتقد أن العلوم مرت بثلاث مراحل هي :** الدينية ، الفلسفية ، الوضعية . إلا الدراسات الاجتماعية لم تمر بتلك المراحل ، ثم تحدث عن علم الاجتماع بين الاستاتيكية الاجتماعية والديناميكية الاجتماعية .

قواعد فهم الظواهر الاجتماعية : هناك قاعدتين لكي يفهم الناس علم الاجتماع :

- ١- أن تكون ظواهر الاجتماع خاضعة لقوانين ولا تسير وفق الأهواء والمصادفات وهو ما تحدث عنه ابن خلدون سابقاً ، على اعتبار أن فهم هذه الظواهر بالطريقة الوضعية وسيلة للوصول للقوانين ، وهذه الظواهر جزء من الطبيعة الكلية وهذه الطبيعة أخضعت للقوانين فإن الظواهر الاجتماعية بالضرورة تخضع للقوانين .
- ٢- تيسير وسائل فهم الناس للقوانين التي تخضع لها ظواهر الاجتماع ، وهذا لا يأتي إلا إذا كشف الباحث عن هذه القوانين ولا يمكن الكشف عنها إلا بدراسة هذه الظواهر دراسة وضعية من خلال طبيعتها والعلاقات التي تربط بعضها ببعض وتربطها بغيرها .

وعلى أساس نتائج هذه الدراسة : يتوقف إصلاح الفكر وانسجامه .

وعلى أساس إصلاح التفكير : يتوقف إصلاح الأخلاق .

وعلى أساس إصلاح الأخلاق : يتوقف الإصلاح الاجتماعي .

النظرية الاجتماعية لأوجست كونت : وهي تتكون من قضيتين أساسيتين ومترابطتين :

الأولى: قانون أوجست كونت ذو المراحل الثلاث وهو يعني أن كل ميدان من ميادين المعرفة قد مر في تطوره بثلاث مراحل وهي : المرحلة اللاهوتية (الدينية) ، المرحلة الميتافيزيقية (الفلسفية) ، المرحلة الوضعية .

والعلوم كما يعتقد كونت إما نظرية أو عملية تطبيقية حيث تهتم الأولى بتناول الظواهر الملموسة أما الثانية فتعمل على اكتشاف القوانين الطبيعية التي تحكم هذه الظواهر وتحكم وجودها وتتبعها ، **وانتهى كونت من هذا التحليل إن جميع ميادين المعرفة قد وصلت إلى المرحلة الوضعية فيما عدا ميدان واحد ، وهو ميدان الدراسات الاجتماعية ، وبالتالي نادى بضرورة قيام علم الاجتماع لإتمام تلك السلسلة .**

الثانية: تتمثل في مبداء النظري ومضمونه أن العلوم تنتظم في نسق تسلسلي يشغل علم الاجتماع قمته ، وتفسير ذلك أن العلوم النظرية تشكل سلماً أو سلسلة تعتمد فيها كل حلقة على تلك التي تسبقها لاهتمامها بظواهر ملموسة وتتميز بكثرة التركيب ، وتحلل الرياضيات قاعدة السلم لأنها تهتم بالجوانب المجردة لجميع الظواهر ، ويليهما في الترتيب الميكانيكا التي كان كونت يخلط بينها بصفة دائمة وبين الفلك وهو العلم الذي حقق في عصره تقدماً ملموساً ، ثم الفيزياء والكيمياء فالبيولوجيا ، و **فوق كل ذلك يتربع العلم الجديد وهو الفيزياء الاجتماعية أو علم الاجتماع .**

المحاضرة الثانية عشرة : أوجست كونت وعلم الاجتماع

شعبتا علم الاجتماع : الدراسة في علم الاجتماع تكون من منظورين هما :

الاستاتيک الاجتماعی (السكون الاجتماعی) : وهو دراسة المجتمعات الإنسانية في حالة سكونها دراسة تشريحية ، وذلك باعتبارها ثابتة في فترة معينة من تاريخها ، ووظيفة الاستاتيک هي دراسة هذه النظم في عناصرها ووظيفتها ، بالإضافة إلى الدراسة الاستقرارية بهدف الكشف عن القوانين التي تحكم التضامن (الترابط) بين النظم الاجتماعية .

الديناميک الاجتماعی (الحركة الاجتماعية) : هو دراسة قوانين الحركة الاجتماعية والسير الآلي للمجتمعات الإنسانية ، والكشف عن مدى التقدم التي تخطوها الإنسانية في تطورها ، بمعنى أنه يدرس الاجتماع الإنساني في جملته وتفصيلاته ، ومن ناحية تطوره وانتقاله في عمومته من حالة إلى حالة أخرى .
وبعبارة موجزة فإن كونت يرى أن **الاستاتيک الاجتماعی** يقوم على أساس فكرة التضامن والنظام ، بينما **الديناميک الاجتماعی** يقوم على أساس فكرة التطور والتقدم ، وقد اهتم كونت بالديناميک الاجتماعی ويعتبرها أفضل من الاستاتيک الاجتماعی التي لا تستطيع الوصول إلى قوانينه بدون الاستعانة بالقوانين الديناميكية التي تسود المجتمع .

مراتب دراسة العلوم : أقلها وأبسطها التساؤل ، وأعلى من التساؤل الفرضية ، وأعلى من الفرضية النظرية وأعلى من النظرية الحقيقة .

ذكرها الدكتور في المحاضرة وهي غير موجودة في الكتاب

منهاج البحث في علم الاجتماع عند كونت : هناك مجموعتين من الوسائل تشكلان عناصر هذا المنهاج وهما **الوسائل المباشرة :**

ويقصد بها الخطوات المنهجية التي يستخدمها الباحث لكشف القوانين التي تخضع لها الظواهر الاجتماعية في نشأتها وتطورها ووظائفها وهذه الخطوات هي التي تشكل قواعد منهاج البحث الاجتماعی .

الوسائل غير مباشرة :

وهي التي تنتج من العلاقات الضرورية التي تربط علم الاجتماع بغيره من العلوم الوضعية الأخرى ، والتي تيسر له الوقوف على نتائج وحقائق علمية لها أهميتها في ميدان البحث في مجالات علم الاجتماع .

تقوم الوسائل المباشرة على : الملاحظة ، التجربة ، المقارنة الاجتماعية ، المنهج التاريخي

ويمكن إيضاح ما يقصده بكل وسيلة من هذه الوسائل بما يلي :

١- **الملاحظة :** ليست شيئاً بسيطاً كما هو متصور ولكنها في حالة الدراسة العميقة لخصائصها كعملية أولية تبدو شديدة التعقيد ، بل عن الملاحظة العرضية تلزمنا باستخدام الفروض العلمية في تفسير أحاسيسنا نحوها ، فقد ندعي أننا نرعى العادات وكيف تمارس والتقاليد وكيف تحترم والأعراف وكيف تستخدم في الفصل بين المتخصصين ، وقد أضاف إليها كونت تحليل ومقارنة اللغات والوقوف على الوثائق والسجلات التاريخية ودراسة التشريعات والنظم السياسية والاقتصادية .. الخ ، وبرر ذلك بأن الظواهر الاجتماعية شديدة التعقيد وكثيرة التغيير ودائمة التفاعل وبهذا فقد أحاطها كونت بكثير من الاحتياطات . وتعتبر الملاحظة عنصر مساعد وليست عنصراً أساسياً من عناصر البحث الاجتماعی .

٢- **وسيلة التجربة :**

والتجربة التي يقصدها كونت هي التجربة الاجتماعية ، أي مقارنة ظاهرتين متشابهتين في كل المتغيرات ، ومختلفتين في متغير واحد ، واختلافهما إنما يرجع إلى الحالة فقط ، ومثل هاتين الظاهرتين يطلق عليهما اسم التجربة المباشرة ، حيث يمكن التعرف على مدى الاختلاف بينهما . والتجربة بهذه الخصائص تختلف عن التجربة التي تستخدم أثناء دراسة الظواهر الطبيعية أو الكيميائية أو البيولوجية .
وأضاف أنه لن يكون لدينا حينئذ ما نستطيع بفضلها أن نحدد وجود حالتين من هذا القبيل في علم الاجتماع .

ولما كانت الطبيعة الاجتماعية لم تقدم لنا مثل هذا النوع من التجارب المباشرة فإنها قد وفرت لنا الكثير من التجارب غير المباشرة ، وتلك تتوافر في الحالات "الباثولوجية" أي الحالات المرضية التي تصيب المجتمع مثل الثورات والفتن والانقلابات ، وألوان التمرد الأخرى التي ترجع في الغالب إلى تأثير القوانين الاستاتيكية والديناميكية بعوامل طارئة وتيارات وقيته . وكما أن العلاج الطبي يقضي على الداء الجسماني ، فإن العلاج الاجتماعي يقضي على الداء الاجتماعي . وقد دفعه هذا الاعتقاد إلى أن القول بأن الباحث الاجتماعي ينبغي أن يكون طبيباً أولاً . وانتهى إلى أن هذه الوسيلة غير مجدية في البحث الاجتماعي لأنها غير مواتية عند الحاجة إليها .

٣- وسيلة المقارنة الاجتماعية :

وهي تقوم على مقارنة مجتمعين لمعرفة أوجه التشابه والتباين بينها وقد تتخذ صور أضيق من ذلك لمقارنة ظاهرة داخل طبقات المجتمع نفسه ، وقد تتسع لتشمل كل المجتمعات للوقوف على ما بلغت إليه من تقدم أو تخلف ومن الضروري في ذلك مراعاة مستوى التحضر والتمدن ومستوى المعيشة ومعايير الأخلاق والأذواق العامة واختلاف اللهجات ، وكل ما يؤثر في الظواهر الاجتماعية في كلا المجالين الخاضعين للمقارنة .

الجزئية التالية ذكرها الدكتور وليست موجودة في الكتاب :

المنهج الاستطلاعي لا نحتاج أن يكون هناك فرضيات ، **المنهج الوصفي** قد يكون هناك فرضيات ونظريات وتسأولات ، **المنهج التجريبي** لابد أن يكون هناك فرضيات بالدرجة الأولى لأنه أكثر عمقاً وأكثر دراسة .

٤- **الوسيلة التاريخية أو السامية** : وهي القاعدة الرابعة والأخيرة في المنهاج الوضعي ، ويقصد به المنهاج الذي يكشف عن القوانين الأساسية التي تحكم التطور الاجتماعي للجنس البشري ، على اعتبار أن وحده واحد تنقل من مرحلة إلى أخرى أكثر منها رقياً ، وربط بين وظيفة هذا المنهاج وقانونه ذي الأدوار الثلاثة الذي ادعى أنه استخلصه من تحليل تاريخ الإنسانية ، غير أنه من الواضح أن وظيفة هذا المنهاج وظيفته تدخل في نطاق العلم ، ومن هنا فإنه لم يفهم من المنهاج الوضعي سوى معنى فلسفي بعيد عن طبائع الأمور ، ولا يمكن أن يؤدي إلى كشف علمي مؤقت ، وبهذا يمكن القول أن كونت لم يستطع استخلاص منهاج وضعي مناسب لأبحاث العلم الجديد الذي نادى به .

✕ في نهاية المحاضرة تحدث الدكتور أن هذه الوسائل الأربع هي للقراءة فقط دون الاختبار .

المحاضرة الثالثة عشرة والمحاضرة الرابعة عشرة تم حذفها من قبل الدكتور

ليست معنا بالاختبار ☺ ..

تم بحمد الله .. بالتوفيق جميعاً ..